



مجلة كلية الآداب

مجلة علمية محكمة فصلية

خريف ٢٠١٧

العدد (٨٣)

مجلة الكلية الآداب: فصلية- علملة- محكمة تعني بنشر الأبحاث العلمية في مجالات الدراسة الإنسانية اللغوية والأدبية والتاريخية والجغرافية والفلسفية والإجتماعية والنفسية والإعلامية وترحب المجلة بالإسهامات العلمية للسادة أعضاء هيئة التدريس والباحثين من العالمين العربي والإسلامي لاثراء المجلة.

قواعد النشر:-

- ١- تقبل المجلة البحوث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.
- ٢- يقر البحث كتابة أن بحثه لم يسبق نشره ولم يرسل لجهة أخرى للنشر.
- ٣- يخطر الباحث بخطاب رسمي بقبول النشر في حالة إجازة البحث للنشر.
- ٤- تعد الخرائط والرسوم البيانية وغيرها من الإيضاحات من قبل الباحث بطريقة تجعلها قابلة للطبع.
- ٥- تعبر البحوث المنشورة عن رأي اصحابها فقط.
- ٦- أصول الأعمال المقدمة للمجلة لا ترد حتى في حالة عدم قبولها للنشر.
- ٧- يحصل الباحث على نسخة واحدة من عدد المجلة المنشور بها + C.D + عشر مستلات من البحث.
- ٨- الحجم الأمثل المقبول في حدود (٣٠ صفحة) يسدد الباحث المصري ٦٠٠ جنيها وخمسة عشر جنيهاً عن كل صفحة زائدة، ويسدد الباحث العربي والأجنبي ٣٠٠ دولار وثلاثة دولار عن كل صفحة زائدة.
- ٩- يسلم البحث مطبوعاً من أصل وصورتين + C.D على أن يكون مجموعاً ببنط ١٤، وأن يكون مقاس الصفحة 12x19سم.
- ١٠- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية وجهة عمله في أول صفحة من البحث.
- ١١- تكتب المراجع والهوامش في نهاية البحث، مع الإلتزام بالأسس العلمية للتوثيق.

١٢- يرفق ملخصان للبحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز حجم الملخص صفحة واحدة.

١٣- تنشر المجلة ملخصات الرسائل العلمية العربية والأجنبية.

١٤- تنشر المجلة بحوث معاوني هيئة التدريس كمتطلب للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة.

١٥- تنشر المجلة بحوث أعضاء هيئة التدريس بدرجة أستاذ وفق القيمة الفعلية للطباعة.

١٦- توجه جميع المكاتبات أو الإستفسارات الخاصة بالنشر إلى رئيس تحرير المجلة على العنوان التالي.

كلية الآداب - جامعة الرقازيق

تليفون : ٠٥٥/٢٣٤٣٨٢١

<http://www.Arts@Zu.edu.eg>

مجلة كلية

مجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق

صدر العدد الأول ٨٦ – ١٩٨٧م

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور

هناء زكريا على

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث
نائب رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور

عماد مخيمر

عميد الكلية
رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور

محمد عبد الفتاح عوض

سكرتير التحرير

الأستاذ الدكتور

فريدة محمد النجدي

رئيس التحرير

مستشارو التحرير

أ.د. أحمد صلاح الدين

أ.د. عبد الرحمن بشير

أ.د. إبراهيم عبد الرحمن

أ.د. عواطف صالح

أ.د. عثمان محمد عثمان

أ.د. فريدة محمد النجدي

أ.د. طارق زكريا علي

أ.د. حسن محمد حماد

أ.د. إبراهيم المسلمي

أسماء السادة الأساتذة محكمي هذا العدد وفقا للترتيب الأبجدي

أ.د/ إبراهيم المسلمي

أ.د/ إبراهيم عودة

أ.د/ أسما حافظ

أ.د/ رأفت الشيخ

أ.د/ محمد أبو قحف

أ.د/ محمد السيد سليمان العبد

أ.د/ محمد علي محمد سلامة

أ.د/ محمد مصطفى أبو اليزيد

أ.د/ محمد ياسر شبل الخواجة

أ.د/ منى أحمد عبد العزيز

أ.د/ منى محمد عبد العزيز

تقديم

يسرني باسم مجلس إدارة مجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق أن أقدم العدد رقم ٨٣ خريف ٢٠١٧ الذي يواكب بداية العام الجامعي الجديد متمنية للجميع أساتذة وباحثين وطلاب عاماً سعيداً مليء بالوفيق والنجاح ولتلك المحلة الغراء كل ما هو جديد في مجال الدراسات الإنسانية معبراً عن جهد مشمر للسادة الباحثين.

يتناول هذا العدد أحد عشر بحثاً متنوعاً، أولها في مجال الدراسات الإسلامية تحت عنوان:- "عصمة الأنبياء عليهم السلام عند الإمام المهدي أبي شكور السالمي الكيشي- دراسة تحليلية" للدكتور/ مديح عبد الله عبد الجواد حسن الذي يتعرض للمشكلة الكلامية التي تتطعن في عصمة الأنبياء عليهم السلام وتصدي فريق من أصحاب العقول المستقيمة لتلك المشكلة واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

وتتوج الدراسات في اللغة العربية ببحثين أولهما للدكتور/ محمد أحمد يوسف وعنوانه:- "علامات الإعراب ووظيفتها في التركيب اللغوي بين المثبتين والمنكرين" ويتكون البحث من مدخل يتحدث فيه عن الإعراب ومعانيه في اللغة والإصلاح ومحوران يتناول الأول لآراء النحاة المتقدمين في وظيفة علامات الأعراب والثاني لآراء المحدثين في الإعراب وعلاماته".

أما البحث الثاني فهو بعنوان:- "سؤال السرد وإشكالية النوع في النقد الأدبي المعاصر" لكل من الدكتور/ إبراهيم بن عبد العزيز زيد والدكتور/ عبد الله حمون الفوزان، ويتساءل البحث عن إشكالية النوع الذي يضم كل الأشكال السردية القديمة والحديثة، وتهدف الدراسة إلى قراءة الخطاب النقدي السرد المعاصر وتتبع مدارات الكتابة النقدية وتستند على منهج "نقد النقد" أو النقد الشارح.

وفي مجال اللغة الفرنسية، نجد ثلاثة أبحاث أثنان في مجال اللغويات وآخر في الأدب الفرنسي، ويأتي البحث الأول في اللغويات للدكتور/ محمود المتولي عطية وعنوانه:- "السمات اللغوية للشئات اليهودي في رواية دورا بريدر لباتريك موديانو" ويدرس السمات والعناصر اللغوية التي تتناولها لأحداث التاريخية والحياتية بالرواية والتي يوجه من خلالها الكاتب رسالته الذاتية، أما البحث الثاني فهو للدكتورة/ دينا جمال الدين صالح أبو العز، وعنوانه:- "بناء صورة المفسر وخصائصه من خلال النص". وتهدف الدراسة إلى إيضاح أن النص التفسيري ينتج عن مجموعة من التقنيات الجدلية التي تسمح ببناء صورة المفسر. وأسست الدراسة علي المنهج اللغوي لعمر إبراهيم، وجاء البحث الثالث في الأدب الفرنسي للدكتور/ عطية القللي، وعنوانه:- "الفترة الزمنية من خلال ميشيل ستروجوف لجول فيرن". ويدرس

لمغامرة ميشيل ستروجوف خلال رحلته الخطرة من موسكو إلى إركو تسك المرتبطة بالزمن وأهمية وإتبعته الدراسة منهج جرارد جينيت.

وفي الدراسات التاريخية يأتي بحث الدكتور/ بدر عبد الله البلاز، وعنوانه:- "ملامح الوضع السياسي والاقتصادي لإمارة الكويت في عهد الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦-١٩١٥). ويستعرض اتفاقية الحماية البريطانية على الكويت وما نتج عنه وكذلك الوضع الاقتصادي لها.

أما علم الاجتماع فله نصيب ببحثين أهما للدكتورة/ إيمان جابر حسن شومان، وعنوانه:- "ثقافة الطعام السريع وتأثيرها على الاتصال الاجتماعي في المجتمع السعودي- دراسة ميدانية" ويدرس لظاهرة انتشار ثقافة الطعام السريع وتأثيرها على العادات الغذائية لدى أفراد المجتمع السعودي من منظور سوسولوجي ودوافعها في أسبابها واتبعته الدراسة المنهج الوصفي والدراسة الميدانية.

أما البحث الثاني فهو لكل من الدكتور/ أحمد رمضان خضيرى والدكتورة/ هالة السيد إبراهيم عياد والدكتور/ أحمد محمد عبد الحميد وعنوانه:- "معوقات ممارسة الأنشطة الطلابية بعمادة السنة التحضيرية بجامعة الدمام- دراسة استطلاعية على عينة من طالبات المسارين الصحي والهندسي". وتؤكد على مدى أهمية الأنشطة الطلابية في تكوين شخصية الطالب الجامعي في السنوات الأولى لالتحاقه بجامعة الدمام ومعوقاتها من وجهة نظر طالبات المسارين الصحي والهندسي وأسست الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي.

وفي مجال الإعلام نجد دراسة الباحثة/ غادة إلهامي السيد حسن وعنوانه:- "دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية الثقافية للشباب المصري، دراسة تطبيقية" وتتناول دور مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة الفيسبوك في تشكيل الهوية الثقافية في مصر واعتمدت الدراسة على منهج المسح الإعلامي التحليلي والميداني وطبقت على عينة قوامها أربعمائة من الشباب المصري المتابعين لمواقع التواصل الاجتماعي.

ونسأل الله العلي القدير التوفيق للجميع،

نائب رئيس مجلس الإدارة

أ.د/ هناء زكريا علي

المحتويات

الوعي الأسري بممارسة الأنشطة الطلابية لدى أسر طالبات المسارين الصحي والهندسي للسنة التحضيرية بجامعة الـدمام

د/ هالة السيد إبراهيم

د/ أحمد محمد محمد

د/ أحمد رمضان خطيري ١

عصمة الأنبياء عليهم السلام عند الإمام المهدي أبي شكور السالمي الكيشي

د/ مديح عبد الله عبد الجواد ٢٧

علامات الإعراب ووظيفتها في التركيب اللغوي بين المشبين والمنكرين

د/ محمد أحمد يوسف محمد ١٤١

ثقافة الطعام السريع وتأثيرها على الاتصال الاجتماعي في المجتمع السعودي

د/ إيمان جابر حسن شومان ١٧١

سؤال السرد وإشكالية النوع في النقد الأدبي المعاصر

د/ إبراهيم بن عبد العزيز زيد

د/ عبد الله بن حمود الفوزان ٢٤٥

دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية الثقافية للشباب المصري

الباحثة/ غادة إلهامي السيد ٢٦٧

ملامح الوضع السياسي والاقتصادي لإمارة الكويت في عهد الشيخ مبارك الصباح

د/ بدر عبد الله البلاز العنزي ٤٣٧

La notion temporelle d'après Michel Strogoff de Jules Verne

Dr. Attia El-emam Al-Kholaly 1

La construction de l'ethos discursif du décrypteur

Dr. Dina Gamal El-Din 31

Le dit et le non-dit Dans «Nagasaki» d'Éric FAYE

Dr. Mahmoud El-metwally Attia 55

عصمة الأنبياء عليهم السلام عند
الإمام المهدي أبي شكور السالمي الكيشي
(المتوفي في أواخر القرن الخامس أو بداية القرن السادس الهجري)
دراسة تحليلية

إعداد

د/ مديح عبد الله عبد الجواد حسن

المدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

قسم العقيدة والفلسفة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفيه من خلقه وسفيره المبلغ مراده لعباده،،،،،، وبعد.....

تفضل الله على عباده بنعم لا يحصيها عد ولا يحصرها حد، من أجلها نعمة العقل؛ ليتلقوا به العهد منه سبحانه وتعالى؛ فيعرفوه، ويوحده، فيعبده.

وفي طريقهم إليه تعالى واجههم عدو آخذوا العهد بإغوائهم، وفتن امتحن الله تعالى بها عباده ليميز الخبيث من الطيب، ومن هذا وذاك تولدت شبهات وشهوات؛ كان لها عظيم الأثر في صرف قلوب العباد عن متطلبات الألوهية ووظيفة العبودية، وللتخلص من ذلك لابد من الرجوع لما سبق من عهد الربوبية والألوهية بمطلباتها، وكيف للإنسان ذلك؟ وهي أمور خارجة عن حسه، وعالية عن متناول عقله؟

وهنا تتجلى رحمته تعالى في أجل مظاهرها وأسمى معانيها في إرساله صفوة مختارة من البشر ليكونوا هداة مرشدين، نصحاء مبلغين، رحماء واعظين، وأيضاً فهم وقاية للقلوب من أمراضها، وللنفوس من شهواتها، وللعقول من شبهاتها، والشياطين وإغوائاتها وأغراءاتها، فمن ظن حصول الهداية والوقاية دون اتباعهم فليبك على حياة قلبه فإنه من الأموات، وعلى نور عقله فإنه منغمس في بحور الظلمات، فمن الضروري إذا تصديق الناس للرسول واتباعهم لينالوا رضا مرسلهم لتتحقق سعادتهم حالا ومآلاً.

ولما كان الأنبياء بتلك المنزلة فلا يتحقق الغرض من إرسالهم إلا إذا كانوا على قدر من الكمال يجعلهم أهلاً يقتدى بهم، وجل الله تعالى أن يضع رسالته في غير موضعها، فالنبي ليس موكولاً لنفسه طرفة عين، ولا ينطق عن الهوى، ولا يتحرك إلا على متن الهدى، لهذا بعث الله أنبياءه منزهين معصومين عن النقائص سالمين من العاهات والمعائب في الخلق والخلق، ودلالة صدقهم مربوطة بما لا تنفك عنهما حالا ومقالاً وهذا هو المقصود بعصمتهم، المقيمة لأنفسهم والمقومة لذواتهم، ولو ارتفعت عصمتهم لبطلت دلالة صدقهم، وتناقضت دعوتهم فيما أرسلوا به؛ وسقط تكليف الناس بتصديقهم في أقوالهم ومتابعتهم في أفعالهم، لذا كان من الضروري وجوب عصمتهم عليهم السلام.

لكن للأسف الشديد تعالت صيحات رافضة لتلك العصمة قديما وحديثا، من أصحاب العقول السقيمة والقلوب المريضة الذين توطنت فيهم الشهوات والشبهات بالتجريح والظعن في عصمتهم عليهم السلام، معللين ذلك بما نسب إليهم من معاصي في القرآن الكريم، من ذلك مثلا: ما ورد في حق آدم عليه السلام: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى"^١، وفي حق إبراهيم عليه السلام: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي"^٢، وفي حق يوسف عليه السلام: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ"^٣، وفي حق موسى عليه السلام: "قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ"^٤، وفي حق عيسى عليه السلام: "وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ"^٥، وفي حق نبينا عليه الصلاة والسلام: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى"^٦ و"مَا كُنْتَ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ"^٧، فظاهر هذه الآيات تنسب الذنب للأنبياء عليهم السلام، ومن هنا زعم منكروا العصمة أنهم عليهم السلام غير معصومين.

وكرر فعل لتلك الصيحات الرافضة لعصمة الأنبياء عليهم السلام تصدى فريق من أصحاب العقول المستقيمة مبطلين مزاعم هؤلاء رافضين إياها؛ لأنها لو صحت لبطلت حجة الله على عباده بإرسال الرسل وأصبح للناس الحجة على الله تعالى، وهذا ما يناقض قوله تعالى: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ"^٨.

ويتعارض أيضا مع قوله تعالى: "كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُهُمْ حَزَنَتُهُمْ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ"^٩، وبحسب كلام الرافضة فللمنذرين أن يعترضوا على الله تعالى، كيف ترسل لنا

^١ سورة طه الآية ١٢٢

^٢ سورة الأنعام الآية ٧٦

^٣ سورة يوسف الآية ٢٤

^٤ سورة القصص الآية ٣٣

^٥ سورة المائدة الآية ١١٦.

^٦ سورة الضحى الآية ٧.

^٧ سورة الشورى الآية ٥٢.

^٨ سورة النساء الآية ١٦٥

^٩ سورة الملك الآية ٨

من لا يصلح للإنداز؟ فحن اتباعناهم وصنعنا مثل صنيعهم فلماذا تعذبنا؟ مما يناقض مفهوم الآية ومنطوقها.

علاوة على أن الرسل والأنبياء عليهم السلام أرسلوا لينذروا الناس ويحذروهم من ارتكاب المعاصي ويخلصوهم من الذنوب والآثام، وبحسب كلام الراضية كيف لهم ذلك؟ وهم محتاجون لمن يخلصهم من ذنوبهم وآثامهم، وهذا ما يتناقض مع قوله تعالى: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ" ^{١٠} مفهوماً ومنطوقاً.

إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون للأنبياء المصطفين من المميزات ما يؤهلهم لأداء رسالتهم، ويؤكد ذلك أن الله تعالى يتولاهم ويعتني بهم من قبل مولدهم وبعثتهم، بدليل ما ورد في حق آدم، وإبراهيم، ويوسف، وموسى، وعيسى، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام، وإلا فما فائدة اصطفايتهم؟ ليكونوا مثالا يحتذى بهم، علاوة على ذلك كيف يبلغون دعوتهم وقد صدر عنهم ما يناقضها؟

ومن بين تأييد المؤيد ومعارضة المعارض لعصمتهم عليهم السلام ظهرت مشكلة بحثنا هذا، والتي بسببها أصبح الناس في حيرة واضطراب، فأى الفريقين على صواب؟ خاصة وأن لكل منهما أسانيد وأدلته من القرآن الكريم؛ فحارت عقولهم بتساؤلات: إذا كان الأنبياء معصومين فكيف يتفق هذا مع ما جاء في القرآن الكريم من آيات يوهم ظاهرها عكس ذلك؟ وهل تلك الآيات تناقض عصمتهم عليهم السلام أم لا؟ فإذا كانت الإجابة بنعم أي تناقضها، فكيف يأتي في القرآن الشيء ونقيضه؟ وإذا كانت بلا أي لا تناقضها فكيف نوفق بينها وبين ما يشتهها؟ فلاحتمال الأول باطل؛ معارضته لصريح قوله تعالى: "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" ^{١١}.

وأما الثاني فيترتب عليه تساؤلات منها: لماذا حدث ذلك أصلاً؟ فأيات تثبت العصمة وأخرى تنفيها، وما حكمة ذلك وأسراره؟ وكيف عاجلها متكلمو الإسلام؟ من أجل ذلك كان بحثنا هذا، فأردنا أن نلقي الضوء على مذهب كل فريق وأدلته في عصمة الأنبياء، وذلك من خلال علم

^{١٠} سورة البقرة الآية ٤٤.

^{١١} سورة النساء الآية ٨٢.

من أعلام أهل السنة والجماعة وهو: الإمام المهدي أبو شكور السالمي الكيشي، مع توضيح ما يلزم توضيحه من مقتضيات البحث، من هنا ظهرت أهمية الموضوع وأسباب اختياري له.

أسباب اختياري للموضوع:-

علاوة على ما سبق دفعني للكتابة في هذا الموضوع أسباب عدة منها:-

- ١- التعرف على حلول مقنعة لتلك المشكلة الكلامية التي تغلفت في ثوب جديد؛ لفتح باب للظعن في عصمتهم عليهم الصلاة والسلام، وفيما جاءوا به، وعليه تبطل الشرائع كلية.
- ٢- كيفية التوفيق بين الآيات التي تثبت العصمة، والآيات التي يوهم ظاهرها عكس ذلك؛ لدحض شبهة: كيف امتدح الله أنبياءه، مع صدور الذنب عنهم؟
- ٣- التعرف على علم جديد من أعلام أهل السنة والجماعة: هو الإمام المهدي أبو شكور السالمي الكيشي، ورأيه في عصمة الأنبياء عليهم السلام.
- ٤- إثراء المكتبة الإسلامية بإحياء التراث الإسلامي بالتنقيب عن المؤلفات والمؤلفين.

منهجي وخطة البحث:-

ولتحقيق كل ذلك سلكت منهجا وصفيا تحليليا لكل فكرة من أفكار هذا الموضوع؛ للوصول لحل لتلك المسألة الشائكة بين متكلمي الإسلام، مع إبراز رأي الإمام الكيشي، ووضعت خطة لتحقيق ذلك كالتالي:

١. مقدمة وفيها:

- أسباب اختيار الموضوع.
 - منهج البحث.
 - خطة البحث وهي كالتالي:
٢. تمهيد: عصر الإمام الكيشي وحياته ويتضمن:
- عصر الإمام المهدي أبي شكور السالمي الكيشي.
 - حياة الإمام المهدي أبي شكور السالمي الكيشي.
 - تحديد مشكلة البحث.

٣. مباحث ثلاثة وهي:

المبحث الأول: تحديد ماهية العصمة لغة واصطلاحاً ويتضمن مطلبين:

- المطلب الأول: العصمة بين الاستعمال اللفظي والمدلول اللغوي.
- المطلب الثاني: العصمة في الاصطلاح.
- المبحث الثاني: موقف الإمام المهتدي السالمي من عصمة الأنبياء ويتضمن ثلاثة مطالب:
 - المطلب الأول: تصوير مذهب أبي شكور السالمي في عصمة الأنبياء عليهم السلام.
 - المطلب الثاني: أدلته على صحة مذهبه.
 - المبحث الثالث: دفعه لما قد يثار حول مذهبه من شبهات.
- المبحث الثالث: عصمة الأنبياء عليهم السلام بين المثبتين والمنكرين، ويتضمن هذا المبحث مطلبين:
 - المطلب الأول: المثبتون لعصمة الأنبياء عليهم السلام.
 - المطلب الثاني: المنكرون لعصمة الأنبياء عليهم السلام.
- ٤. خاتمة وفيها: -
 - أهم نتائج البحث.
 - أهم توصيات الباحث.

تمهيد

عصر الإمام المهتدي أبي شكور السالمي الكيشي وحياته

يتضمن هذا التمهيد ثلاث نقاط:

- النقطة الأولى

عصر الإمام المهتدي أبي شكور السالمي الكيشي

عاش الإمام أبو شكور السالمي الكيشي في أربعينات القرن الخامس الهجري، حيث ثبت أنه توفي في أواخر القرن الخامس أو بداية القرن السادس الهجري، لذا سوف نتناول تلك الحقبة الزمنية من عدة جوانب:

١- الجانب السياسي.

نشأ الإمام السالمي في بلاد ما وراء النهر، وتحديدا في مدينة كيش التابعة لأوزبكستان والتي يرجع تاريخها إلى عهود موغلة في القدم، والذي يهمننا من تاريخ تلك الفترة، الفترة التي عاش فيها السالمي والتي تزامنت مع الدولة العباسية، خاصة في عهد دولة السلاجقة.

فقد فتح المسلمون بلاد ما وراء النهر في منتصف القرن السابع الميلادي في عهد الدولة الأموية في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان (ت ٩٦هـ = ٧١٥م)^{١٢} على يد قائد حكيم هو قتيبة بن مسلم^{١٣} (ت ٩٦هـ = ٧١٥م) عام (٦٢٢م) وذلك رغبة في نشر الدين الإسلامي، فغزا قتيبة بلاد ما وراء النهر وتوغل فيها وافتتح كثيرا من المدائن: كخوارزم، وسجستان، وسمرقند، وغزا أطراف الصين، وفرض عليها الجزية، وأذعننت له بلاد ما وراء النهر كلها بسهولة، وانتشر الدين الجديد تدريجيا في المنطقة فبدأت الثقافة الأصلية لشعوب تلك المنطقة تنحسر وتنحصر أمام الثقافة والدين الجديدين، وأصبحت آسيا الوسطى منطقة إسلامية وازدادت ترسخا بانتصار الجيوش العربية على الصينية عام (٧٥٠م) في معركة نهر طلاس واكتمل الفتح الإسلامي في القرن الثامن الميلادي فأعطى تلك المنطقة دينا وثقافة جديدتين آنذاك.

اكتسبت بلاد ما وراء النهر بعد الفتح الإسلامي الكثير من الطابع العربي حتى أصبحت مركزا مهما للثقافة والتجارة لعدة قرون، وصارت اللغة العربية حتى القرن العاشر الميلادي لغة بلاد ما وراء النهر، وأصبحت تلك المنطقة محورا هاما في الشؤون الإقليمية للعالم كله.

وجاءت الخلافة العباسية بعد سقوط الخلافة الأموية فحكمت العالم الإسلامي خمسة قرون بداية من عام (٧٥٠م) وبلغت أوج عظمتها في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين؛ فشهدت آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر عصرا ذهبيا بحق، فأصبحت بخارى واحدة من المراكز الرائدة في مجال التعليم والثقافة والفن في العالم الإسلامي، وكانت في عظمتها تنافس مراكز ثقافية معاصرة: مثل بغداد والقاهرة، وقرطبة وكان منها أعظم المؤرخين والعلماء والجغرافيين في تاريخ الثقافة الإسلامية أمثال: البخاري في الحديث، والسالمي في العقيدة وغيرهما^{١٤}، وبعد أن كانت الخلافة

^{١٢} الوليد بن عبد الملك بن مروان (٤٨ ٩٦هـ = ٦٦٨ ٧١٥م) راجع الأعلام ج ٨ ص ١٢١.

^{١٣} قتيبة بن مسلم الباهلي (٤٩- ٩٦هـ / ٦٦٩- ٧١٥م) قائد إسلامي شهير) الأعلام ج ٥ ص ١٨٩.

^{١٤} راجع على سبيل المثال: تاريخ الطبري/ ج ٨ ص ١٠٣، والكامل لابن الأثير/ ج ٥ ص ٤ ط مصر ١٣٠٣، وفيات الأعيان/ ج ١ ص ٤٢٨ ط مصر ١٣١٠هـ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب عبد الملك بن محمد الثعلبي/ ص ١٧٣ ط مصر ١٣٢٦هـ، والشعور بالعبور لصالح الدين الصفدي مخطوط في المكتبة الخالدية بالقدس، مقدمة ابن خلدون ج ٣ ص ٥٩، ٦٦، وخزانة البغدادي ج ٣ ص ٦٥٧، والمرزباني ص ٣٣١، والبداية والنهاية لأبن كثير ج ٢ ص ٢٧ ط مصر عام ١٣٥١، ١٣٥٨، ونوادير المخطوطات ج ١ ص

العباسية في أوج عظمتها وقوتها بدأ نورها يجبو بسبب ضعف حكماها وتنافسهم على السلطة بداية من عصر: المتوكل (ت ٢٤٧هـ = ٨٦١م)^{١٥}، والقائم (ت ٤٦٧هـ = ١٠٧٥م)^{١٦}، والمقتدي (ت ٤٨٧هـ = ١٠٩٤م)^{١٧}، والمستظهر (ت ٥١٢هـ = ١١١٨م)^{١٨}، واستمر هذا الضعف حتى سقطت على يد التتار عام (٦٥٦هـ)، وكنتيجة لهذا انقسم العالم الإسلامي إلى دويلات مستقلة حيث قامت الدولة الحمدانية بالجزيرة عام (٣١٧هـ)، والدولة البويهية بالعراق عام (٣٢٠هـ)، والدولة السامانية ببلاد ما وراء النهر عام (٢٦١هـ)، مما أدى إلى اضطراب في الأوضاع السياسية لمحاولة كل دولة بسط نفوذها على ممتلكات الأخرى، وظلت بلاد ما وراء النهر تحت سيطرة السامانيين إلى أن سقطت دولتهم عام (٣٨٩هـ) على يد محمود بن سبكتكين (ت ٣٦١هـ = ١٠٣٠م)^{١٩} وبنهايتهم انتهت الدولة السلمانية، حيث سقطت على يد السلاجقة عام (٤٨٢هـ) بقيادة ملك شاه (ت ٥٢٥هـ = ١١٣١م)^{٢٠}.

وظلت هذه البلاد تحت حكم السلاجقة الغير مستقرة سياسيا، فداخليا: حاربت جماعة الحشاشين في أواخر القرن الخامس الهجري^{٢٢}، وخارجيا: مع البيزنطيين في معركة ملاذكرد^{٢٣} وبعد هذه المعركة اجتاحت السلاجقة تركيا حتى قاربوا حدود القسطنطينية، فارتعد الإمبراطور البيزنطي وطلب العون من

١٩٣، والمبرد ج ٣ ص ٦، ورغبة الأمل ج ٦ ص ١١٨، والأعلام ج ٥ ص ١٨٩: ١٩٠، والأعلام ج ٨ ص ١٢١.

١٥ جعفر ابن محمد بن هارون الرشيد ولد (٢٠٦هـ = ٨٢١م) ومات (٢٤٧هـ = ٨٦١م) راجع الأعلام ج ٢ ص ١٢٧.

١٦ عبدالله بن أحمد ولد (٣٩١هـ = ١٠٠١م) ومات (٤٦٧هـ = ١٠٧٥م) راجع الأعلام ج ٤ ص ٦٦.

١٧ عبدالله بن محمد بن القائم ولد (٤٤٨هـ = ١٠٥٦م) راجع الأعلام ج ٤ ص ١٢٢.

١٨ أحمد بن عبد الله ولد (٤٧٠هـ = ٥١٢م) راجع الأعلام ج ١ ص ١٥٨.

١٩ محمود بن سبكتكين الغزنوي السلطان (٣٦١هـ = ٤٢١هـ = ٩٧١م) راجع الأعلام ج ٧ ص ١٧١.

٢٠ محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي (٥٢٥هـ = ١١٣١م) راجع الأعلام ج ٧ ص ١٨١.

٢١ راجع تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي د/ حسن إبراهيم/ ج ٤/ ص ١٨. مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٦٧/٧.

٢٢ دولة السلاجقة" لعلي محمد الصلابي، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، دار المعرفة بيروت- لبنان

٢٣ الكامل في التاريخ" لابن الأثير، ج ١٠ ص ٣٧ إلى ص ٦٧ دار صادر- بيروت- ١٩٧٩.

البابا المسيحي فقام بدعم الحملة الصليبية الأولى لحماية مملكته^{٢٤} حيث اجتمعت في عام (٤٩٠هـ = ١٠٩٧ م) أربعة جيوش أوروبية في الأناضول لمحاربة السلاجقة والحد من نفوذها فتحقق لهم ذلك خاصة بموت السلطان ملك شاه عام ٤٨٥هـ، وسرعان ما بدأت الدولة تنقسم إلى دويلات ولكنها استمرت حتى عام ٥٥٢ هـ^{٢٥}، بفضل السلطان السلجوقي سنجر (ت ٤٧٩: ٥٥٢ هـ)^{٢٦} الذي نجح في إعادة هبة الدولة وتوحيدها من جديد^{٢٧} لكن هذا لم يمنع انحطاط الدولة وضعفها بعد موته^{٢٨} فاكنتسح الخوارزميون خراسان^{٢٩} وكانت معركة دوريليوم نهاية الدولة السلجوقية على أيدي الصليبيين الذين بدأ حكمهم من ٤٩٠هـ وانتهى ٦٩٠هـ^{٣٠}.

٢- الجانب الاجتماعي.

بلاد ما وراء النهر من الأقاليم الخصبة ذات الخير الكثير، ولسكانها طبيعة خاصة تميزهم عما سواهم، وأهلها من أخير الناس طبعاً وكرماً وبأساً في حالة الشدة. يصف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)^{٣١} بلاد ما وراء النهر فيقول: (ما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها، وأهلها يرجعون إلى رغبة في الخير والسخاء، واستجابة لمن دعاهم إليه مع قلة وسماحة ما ملكت أيديهم مع شدة ومنعة وبأس وعدة وآلة وكراع وسلاح، فأما الخصب فيها فهو يزيد على الوصف ويتعاضد من أن يكون في جميع بلاد الإسلام مثله)^{٣٢}.

^{٢٤} الحروب الصليبية في المشرق لسعيد أحمد برجايوي، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، دار الآفاق الجديدة- بيروت، لبنان.
^{٢٥} تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة" لستانلي بول (ترجمة أحمد السعيد سليمان) ج ١ ص ٣١٣: ٣٢٥ دار المعارف
^{٢٦} سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود (٤٧٩- ٥٢ هـ). راجع سير أعلام النبلاء ج ٢٠.
^{٢٧} زبدة التاريخ للحسيني ج ١ ص ١٨٠ ط بيروت ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١.
^{٢٨} نظام الوزارة في الدولة العباسية ص ٦٧.
^{٢٩} الحروب الصليبية في المشرق لسعيد أحمد برجايوي، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، دار الآفاق الجديدة- بيروت، لبنان.
^{٣٠} دولة آل سلجوق ص ٢٧٧ و ص ٢٧٨.
^{٣١} ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٥٧٤ = ٦٢٦ هـ = ١١٧٨ - ١٢٢٩ م) راجع الأعلام ج ٨ ص ١٣١.
^{٣٢} معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٥ ص ٤٥: ٤٧ ط دار صادر بيروت، وطبعة أخرى ج ٧ ص ٣٧٠: ٣٧٢ مكتبة السعادة.

ويصف نفس الكاتب أهل تلك البلاد فيقول: (وأما سماحتهم فإن الناس في أكثر ما وراء النهر كأهم في دار واحدة، ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه رجل دخل دار صديقه، لا يجد المضيف من طارق في نفسه كراهة، بل يستفرغ مجهوده في غاية من إقامة أوده من غير معرفة تقدمت، ولا توقع مكافأة بل اعتقاد الجود والسماحة في أموالهم)^{٣٣}.

ويصف الإصطخرى (ت ٣٤٦هـ)^{٣٤} كرم أهل تلك البلاد وشجاعتهم فيقول: (ولقد شهدت منزلا بالصغد . من بلاد ما وراء النهر . قد ضربت الأوتاد على بابه فبلغني أن ذلك الباب لم يغلق منذ زيادة على مائة سنة لا يمنع من نزوله طارق، وربما ينزل بالليل بيتا من غير استعداد المائة والمائتان والأكثر بدوابعهم، فيجدون من علف دوابهم وطعامهم ودثارهم من غير أن يتكلف صاحب المنزل شيئا من ذلك لدوام ذلك منهم، والغالب على أهل ما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الرياضات وعمارة الطرق والوقوف على سبيل الجهاد ووجوه الخيرات إلا القليل منهم، وأما بأسهم وشوكتهم فليس في الإسلام ناحية أكبر حظا في الجهاد منهم، وذلك أن جميع حدود ما وراء النهر دار حرب وأما نزاهة ما وراء النهر فليس في الدنيا بأسرها أحسن من بخارى)^{٣٥}.

وفي نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس مرت بلاد ما وراء النهر بقحط شديد، وعلى إثره مات خلق كثير على حد قول ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)^{٣٦} إذ يقول: (ففي سنة ٤٤٩هـ مات من الجوع خلق كثير، وأكلت الكلاب، وورد من بخارى أنه وقع في تلك الديار وباء حتى أخرج في يوم واحد ثمانية عشر ألف جنازة، وبقيت الأسواق فارغة، والبيوت خالية، ووقع الوباء: بأذربيجان وأعمالها، والأهواز وأعمالها، وواسط، والكوفة، وكان سببه الجوع وباع رجل أرضه

^{٣٣} معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٥ ص ٤٥: ٤٧ ط دار صادر بيروت، وطبعة أخرى ج ٧ ص ٣٧٠: ٣٧٢ مكتبة السعادة.

^{٣٤} إبراهيم بن محمد الإصطخرى جغرافي (ت ٣٤٦هـ = ٩٥٧م) راجع الأعلام ج ١ ص ٦١.

^{٣٥} معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٥ ص ٤٥: ٤٧ ط دار صادر بيروت، وطبعة أخرى ج ٧ ص ٣٧٠: ٣٧٢ مكتبة السعادة.

^{٣٦} عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي (١٠٣٢ - ١٠٨٩ هـ = ١٦٢٣ - ١٦٧٩ م) راجع الأعلام ج ٣ ص ٢٩٠.

بخمسة أرتال خبز فأكلها فتاب الناس وارقوا الخمر وكسروا المعازف وتصدقوا بمعظم أموالهم ولزموا المساجد^{٣٧}.

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في تلك الآونة ما حدث بين الطوائف الدينية من صراع فنجد مثلا سنة (٤٤٣هـ) دار قتال عنيف بين أهل السنة والشيعة ترتب عليه قتل الكثير^{٣٨}، وتوالى الصراعات بين الفريقين في سنة (٤٤٤هـ ٤٤٥هـ) فكان كل فريق يكفر الآخر ويجتهد في إحراق ما يملكه الآخر من كتب، وفي سنة (٤٨٢هـ) وقعت فتنة بين الفريقين لم يسمع بمثلتها قط وبسببها قتل خلق كثير^{٣٩} وفي سنة (٤٩٤هـ) انتشرت دعوى الباطنية بأصهبان وقويت شوكتهم واستفحل أمرهم بسبب انشغال ملوك دولة السلاجقة بأنفسهم^{٤٠}، وكان هناك مشاحنات أيضا بين أهل السنة والمعتزلة والجهمية والحنابلة حتى قام بعض الخلفاء حسما لهذا الخلاف بصلب خصوم أهل السنة وإحراق كتبهم^{٤١}.

٣- الجانب العلمي.

نسب لبلاد ما وراء النهر فحول العلماء في كل فن، ولعل هذا ما دفع السمعاني(ت ٥٠٦هـ)^{٤٢} إلى أن يقول: (بلاد ما وراء النهر خرج منها العلماء في كل فن جماعة لا يحصون)^{٤٣}.
ويصف المقدسي (ت ٣٨٠هـ)^{٤٤} الحالة العلمية لبلاد ما وراء النهر فيقول: (إنه أجل الأقاليم، وأكثرها أجلة، وعلماء، وهو معدن الخير، ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم، وحصنه

^{٣٧} شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٣ ص ٢٧٩ ط مكتبة القدس ١٣٥٠هـ.

^{٣٨} راجع شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٠، البداية والنهاية ج ١٢/ص ٦٢ ط دار الفكر العربي، والكامل لابن الأثير ج ٩/٢٣٩.

^{٣٩} شذرات الذهب ج ٣/ص ٣٦٧.

^{٤٠} شذرات الذهب ج ٣/ص ٣٩٧، ٤٤٠.

^{٤١} شذرات الذهب ج ٣/١٨٦، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ج ٨/ص ٣٨: ٤٠.

^{٤٢} عبد الكريم بن محمد السمعي مؤرخ (٥٠٦ ٥٦٢هـ = ١١١٣ ١١٦٧م) راجع الأعلام ج ٤ ص ٥٥.

^{٤٣} الأنساب للسمعاني ج ٥/ص ٤٨٦ / تحقيق عبدالله البارودي ط/ دار الجنان بيروت الطبعة الأولى لعام ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

^{٤٤} محمد بن أحمد المقدسي ولد (٣٣٦ هـ = ٩٤٧م) وتوفي (٣٨٠ هـ = ٩٩٠م) راجع الأعلام ج ٥/ص ٣١٢.

الأعظم، ملكه خير الملوك، وجنده خير الجنود، فيه يبلغ الفقهاء درجة الملوك، وهو أكثر الأقاليم علما وفقها، وللمذكورين به صيت عجيب، ولهم أموال جمّة، والغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة^{٤٥}.

ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن حكام تلك الفترة اهتموا بالعلم والعلماء، وخير مثال لذلك الملك ألب أرسلان (ت ١٠٧٢م)^{٤٦} الذي قال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ = ١٢٠١م)^{٤٧} عنه: (كانت سوق العلم في أيامه قائمة، والعلماء في عهده مرفوعو الهامة)^{٤٨}.

وكانت المناظرات العلمية التي كانت تقوم بين أنصار المذهب السني والمذاهب الأخرى، وخاصة المذهب الشيعي سببا في إنشاء المدارس لنشر المذهب السني للقضاء على الحركة الشيعية^{٤٩}، حيث تأسست أولى هذه المدارس في بغداد عام (٤٥٧ هـ)، وكلف بالتدريس بها أبو إسحاق الشيرازي (ت ٣٩٣ هـ = ١٠٨٣ م)^{٥٠} وكان معظم هذه المدارس في بغداد وبلخ ونيسابور وهرّاة وأصفهان ومرو وطبرستان^{٥١}.

كما حرصوا على توفير راحة كاملة للطلاب، فضلاً عن هذا فقد اهتم نظام الملك بأن يزور بنفسه هذه المدارس دورياً فقد زار مثلاً في عام (٤٨٠ هـ) مدرسة بغداد واطلع على أحوالها

^{٤٥} أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ص ٢٩٤ وما بعدها. بدون.

^{٤٦} ألب أرسلان عضد الدولة، أبو شجاع محمد بن جفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق التركماني، أحد أهم قادة المسلمين وكبار رجال التاريخ وصاحب الانتصار الخالد على الروم في معركة ملاذكرد. عُرف باسم ومعناها بالتركية ولد في ٢٠ يناير، ١٠٢٩، خوارزم وتوفي في: ٢٤ نوفمبر، ١٠٧٢.

^{٤٧} أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٠٨ هـ = ١١١٤ م) راجع الأعلام ج ٣ ص ٣١٦.

^{٤٨} دولة السلاجقة لعلي محمد الصلابي مقال " بتاريخ ٢٥-١١-٢٠١٠ الطبعة الأولى ٢٠٠٦، دار المعرفة بيروت- لبنان.

^{٤٩} دولة السلاجقة لعلي محمد الصلابي، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، دار المعرفة بيروت- لبنان.

^{٥٠} إبراهيم بن علي الشيرازي (٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م) راجع الأعلام ج ١ ص ٥١.

^{٥١} الكامل في التاريخ" لابن الأثير، ج ١٠ ص ٣٧ إلى ص ٦٧ دار صادر- بيروت- ١٩٧٩.

^{٥٢} طبقات الشافعية" لجمال الدين الأسنوي (تحقيق عبد الله الجبوري)، ص ١٨٠، دار العلوم ١٤٠١ هـ.

ودرس بما قليلاً^{٥٣} وعندما كان يُنهي الطلاب تعلمهم في المدارس كانوا يُقدمون طلباً للحصول على الإجازة والتي تتيح لهم الالتحاق بوظائف مثل القضاء والإفتاء والتدريس وغيرها^{٥٤}. وكان للإمام السالمي باع طويل في تلك الفترة التي تميزت بحرية الفكر؛ لأن ملوك تلك الفترة كانوا يدعمونهم بكل شيء حفاظاً على عقيدة الناس وضماناً لاستقرار ملكهم وسوف يتضح ذلك عند حديثنا عن حياة الإمام السالمي فيما يأتي.

- النقطة الثانية

حياة الإمام المهدي أبي شكور السالمي الكيشي

قبل الحديث عن حياة الإمام أبي شكور السالمي الكيشي لابد أن ننوه إلى أنه ينتمي كالميلاد للمدرسة الماتريديّة التي هي بمثابة شجرة يمثل جذورها الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠ هـ = ٧٦٧م)^{٥٥}، وساقها الإمام الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ = ٩٤٤م)^{٥٦}، وفروعها تلاميذهما، وثمارها اتباع تلك المدرسة.

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء التلاميذ لم يكتفوا بالاتباع من تقليد ومحاكاة، بل قاموا بالإضافة من تقرب للمذهب وفك رموزه وإشاراته وأهدافه، وذلك بالشرح والتوضيح بضرب الأمثلة لبعض المسائل الغير واضحة والتي لم تثر في عهد سابقهم، فجاءت مناسبة ومتفقة مع الهدف العام لتلك المدرسة ومن هؤلاء:

^{٥٣} الدولة العباسية: من الميلاد إلى السقوط" لمحمد قباني، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، "دار وحي القلم" - دمشق، سوريا.
^{٥٤} نظام الملك: الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي " لعبد الهادي محمد رضا ص ٣٥٧ إلى ص ٣٦٤، الدار المصرية اللبنانية.

^{٥٥} أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠-١٥٠ هـ / ٦٩٩-٧٦٧م) من مؤلفاته: الوصية، العالم والمتعلم، الفقه الأكبر، الفقه الأبسط. راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ط دار العلم للملايين ١٩٨٨ م ج ٨ ص ٣٦.
^{٥٦} أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي (٣٣٣ هـ = ٩٤٤م) ومن مؤلفاته: كتاب التوحيد، تأويلات أهل السنة وإليه تنسب المدرسة الماتريديّة. راجع العلام ج ٧ ص ١٩.

- ١- أبو اليسر البزدوي (ت: ٤٩٢ هـ = ١٠٩٩ م): الذي ألف كتابا فريدا من نوعه يسمى: بأصول الدين وفيه ربط المنقول بالمعقول بأسلوب سهل ممتنع^{٥٧}.
- ٢- أبو المعين النسفي (ت ٥٠٨ هـ = ١١١٥ م) ومن نتاجه موسوعة: تبصرة الأدلة، وكتاب التمهيد لقواعد التوحيد، وكتابه بحر الكلام وغيرهم^{٥٨}.
- ٣- أبو الثناء اللامشي (ت ٥٢٢ هـ = ١١٢٨ م) من مؤلفاته التمهيد لقواعد التوحيد، وأصول الفقه^{٥٩}.
- ٤- أبو حفص نجم الدين عمر النسفي (ت ٥٣٧ هـ = ١١٤٢ م) ومن مؤلفاته: كتاب العقائد النسفية^{٦٠}.
- ٥- نور الدين الصابوني (ت ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م) ومن مؤلفاته: البداية في أصول الدين، وكتاب الكفاية في الهداية^{٦١}.
- ٦- أبو محمد ركن الدين السمرقندي (ت ٧٠١ هـ = ١٣٠١ م) ومن مؤلفاته: العقيدة الركنية، تفسير السمرقندي^{٦٢}.

^{٥٧} أبو اليسر محمد بن محمد بأبو اليسر البزدوي (٤٢١ هـ - ٤٩٣ هـ / ١٠٣٠ - ١١٠٠ م) راجع الأعلام ج ٧ ص ٢٢.

^{٥٨} ميمون بن محمد بن محمد بن محمد النسفي الفقيه الحنفي المتوفى سنة ٥٠٨ ثمان وخمسمائة راجع الأعلام ج ٧ ص ٣٤١.

^{٥٩} أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي (ت ٥٢٢ هـ = ١١٢٨ م) راجع الجواهر المضبية في طبقات الحنفية لابي الوفاء القرشي ج ٤ ص ١٨ ط مجلس المعارف النظامية حيدر آباد الطبعة الاولى لعام ١٣٣٢ هـ وانظر كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ج ١ ص ١١٤ ت محمد شرف الدين الناشر دار احياء التراث العربي وانظر تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان ج ٢ ص ٩٥٣ ط جامعة الدول العربية للثقافة الطبعة الخامسة دار المعارف بالقاهرة، وانظر تاج التراجم في من صنف من الحنفية لابن قطلوبغا ص ٢٤ تحقيق ابراهيم صالح ط دار المأمون للتراث بيروت الاولى لعام ١٤٢٢ هـ = ١٩٩٢

^{٦٠} عمر بن محمد النسفي لقبه نجم الدين، (٤٦١ ٥٣٧ هـ / ١٠٦٨ ١١٤٢ م) راجع الاعلام ج ٥ ص ٦٠.

^{٦١} نور الدين أحمد بن أبي بكر الصابوني (ت ٥٨٠ هـ = ١١٨٤ م) راجع الأعلام ج ١ ص ٢٥٣.

٧- أبو البركات النسفي (ت ٥٧١٠هـ = ١٣١٠م) ومن مؤلفاته: الاعتماد في الاعتقاد، وتفسير النسفي^{٦٣}.

٨- الحسين بن علي السغناقي (ت ٥٧١١هـ = ١٣١١) ومن مؤلفاته: التسديد في شرح التمهيد^{٦٤}.

٩- أبو شكور السالمي الكيشي (المتوفى في أواخر القرن الخامس أو بداية القرن السادس الهجري) ونوه إلى أننا أحرناؤه عن ترتيبه، لأنه سيكون بيت القصيد في هذا التمهيد؛ لذا سنتحدث عنه بالتفصيل كما يلي:

١. اسمه: هو أبو شكور محمد بن عبد الله السعيد بن شعيب الكيشي الحنفي السالمي المكشفي^{٦٥}.

٢. مولده: ولد في الأربعينات من القرن الخامس الهجري، ولم يعرف تحديدا وقت مولده، ولكنه كان معاصرا لأبي عمر النسفي، ونور الدين الصابوني، كما يقول محقق كتاب التمهيد في بيان التوحيد^{٦٦}، ويتبين منه أيضا أن مولد أبي شكور

^{٦٢} محمد بن محمد ركن الدين السمرقندي، (٦١٥ هـ = ١٢١٨ م) أنظر الوافي بالوفيات للصفدي ج ١٤ ص ٤١٣، والجواهر المضية للقرشي ج ٣ ص ٥٨٩، والدرر الكامنة لابن حجر ج ٢ ص ٤٥١، والطبقات السننية للتميمي ج ٤ ص ٤٢٨.

^{٦٣} عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات (ت. ٥٧١٠هـ - ١٣١٠م) راجع الأعلام ج ٤ ص ٦٧.

^{٦٤} الحسين بن علي بن الحجاج السغناقي (٥٧١١هـ = ١٣١١) راجع الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي ج ٢ ص ١١٤، وأنظر الأعلام ج ٢ ص ٢٤٧، معجم المؤلفين لرضا كحالة ج ٤ ص ٢٨ ط إحياء التراث العربي بيوت.

^{٦٥} كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) الناشر: مكتبة المثنى بغداد ج ١ ص ٤٨٤ ج ١ ص ٤٨٤، وأنظر نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار- ج ١٧ ص ٢٠٨ المؤلف: السيد علي الحسيني الميلاني الموضوع: العقائد والكلام.

^{٦٦} التمهيد في بيان التوحيد تأليف أبو شكور محمد بن عبد الله السعيد بن شعيب السالمي الكيشي الحنفي المكشفي/ تحقيق ساعة مراد بريموف ط/ طشقند ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م. ص ٣.

السالمي الكيشي كان في النصف الأول من القرن الخامس الهجري كما هو ثابت في كتاب التوحيد للسالمي^{٦٧}.

٣. نسبته: الكيشي: نسبة إلى مدينة كيش القديمة^{٦٨} وإن كان قد ذكر في بعض المصادر بالكَشِّي أو بالكسِّي^{٦٩} والحنفي: نسبة إلى مذهبه الذي كان يتبعه عقيدة وفقها، والسالمي: نسبة إلى قبيلته السالمية^{٧٠}.

٤. لقبه: أبو شكور السالمي لقب: بالمهتدي، كما أن أبا منصور الماتريدي لقب بإمام الهدى^{٧١}.

٥. مذهبه: للسالمي مذهب فقهي: ينسب فيه للإمام أبي حنيفة، ومذهب عقدي: ينسب فيه للإمام أبي منصور الماتريدي، فهو حنفي ماتريدي^{٧٢}.

٦. أساتذته وشيوخه: للسالمي شيوخ كثيرون من أعظمهم على الإطلاق شيخ الإسلام الإمام الزاهد: أبو بكر محمد بن حمزة الخطيب السمرقندي^{٧٣}، وقد ذكر في التمهيد: أن أبا شكور السالمي درس عند شيخه هذا عددا من الكتب الشرعية حتى أصبح فقيها، وتعلمه كان في مدينة سمرقند^{٧٤}.

٧. مؤلفاته واسهاماته العلمية.

● التمهيد في بيان التوحيد.

^{٦٧} راجع مقدمة كتاب التمهيد ص ٤.

^{٦٨} كيش: أحد المدن القديمة في بلاد ما وراء النهر نسب إليها علماء كثيرون منهم على سبيل المثال: محمد بن عمر بن عبد العزيز أبو عمر الكيشي فقيه نسابة (ت ٣٤٠هـ = ٩٥١م) راجع الأعلام ج ٦ ص ٣١١.

^{٦٩} راجع مقدمة كتاب التمهيد ص ٣.

^{٧٠} راجع مقدمة كتاب التمهيد ص ٣.

^{٧١} راجع مقدمة كتاب التمهيد ص ٣.

^{٧٢} راجع مقدمة كتاب التمهيد ص ٣.

^{٧٣} راجع مقدمة كتاب التمهيد ص ٣.

^{٧٤} راجع مقدمة كتاب التمهيد ص ٣.

هذا الكتاب من أهم مؤلفاته وقد أوضح فيه عقيدة أهل السنة والجماعة بأسلوب سهل وواضح، وبرغم أننا لم نعثر في كتب التراجم على غير هذا المؤلف إلا أن للسالمي دورا بارزا وواضحا في تقدم وتطور المذهب الماتريدي؛ حيث أنه كان مستجيبا لطلب عامة الناس في تبسيط مسائل العقيدة؛ ويؤكد هذا ما قاله في مقدمة كتاب التوحيد: (قد سألني بعض أخواني أن أمهد لهم أصول المعرفة والتوحيد مقدار ما يكشف بالعبارة، أو يدرك بالإشارة، فأجبتهم لذلك بعدما استخرت الله تعالى)^{٧٥}.

٨. تلاميذه: لم نعثر في كتب التراجم، ولا عند من كتب عن أبي شكور السالمي عن تلاميذ مباشرين له، ولكن تتلمذ على كتبه الكثير، بدليل أنهم استفادوا من كتبه بطريقة مباشرة، ومن هؤلاء على سبيل المثال:

أ- نور الدين ملا على القارئ (ت ١٠١٤ هـ = ١٦٠٦ م)^{٧٦} في كتابه: (شرح الفقه الأكبر) استفاد كثيرا من التمهيد للسالمي، واقتبس منه كثيرا فمثلا: كلامه في حكم مرتكب الكبيرة وأنها لا تخرج صاحبها من الإيمان هو نفس كلام السالمي^{٧٧}.

ب- كمال الدين البياضي (ت ١٠٩٧ هـ وقيل ١٠٩٨ هـ)^{٧٨} في كتابه: (الأصول المنفية للأمام أبي حنيفة) استفاد من كلام السالمي في توضيح آراء أبي حنيفة^{٧٩}.

٩. منهجه: للسالمي منهجان في كتاباته:

الأول: عام. فالتأمل لما خلفه السالمي من تراث علمي يتضح أن له منهجا عاما، لا يخرج فيه عن سلفه من المدرسة الماتريدية وهو: استنباط الأدلة العقلية من خلال الآيات القرآنية،

^{٧٥} كتاب التمهيد في بيان التوحيد ص ٦.

^{٧٦} علي بن محمد نور الدين الملا الهروي القاري فقيه حنفي، وتوفي ١٠١٤ هـ = ١٦٠٦ م. راجع الأعلام ج ٥ ص ١٢.

^{٧٧} مقدمة كتاب التمهيد ص ٤.

^{٧٨} أحمد بن حسن بن سنان الدين البياضي المولود عام ١٠٤٤ هـ والمتوفي ١٠٩٧ هـ وقيل ١٠٩٨ هـ. راجع معجم المؤلفين لرضا كحالة ج ١ / ص ١٢١، وانظر هدية العارفين للبغدادي ج ١ / ص ١٦٤، وأنظر الأعلام ج ١ ص ١١٢.

^{٧٩} مقدمة كتاب التمهيد ص ٤.

فقد أبرز فيه أن منهجه هو: منهج أهل السنة ويقصد الماتريدية، ولذا انتهى إلى ما انتهوا إليه؛ وسبب ذلك أن منهجهم واحد فكانت نتائجهم متحدة، وأيضا لأن خصمهم واحد، كما ينبغي أن نؤكد أن السالمي الكيشي اعتمد في كتابته على سرد الآيات القرآنية الخاصة بالموضوع الذي يتحدث فيه، وكذا يستند على الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين كما اعتمد على أقوال الأئمة الكبار: كأبي حنيفة، ومالك (ت ٩٣ . ٧٩٥ م)^{٨٠}، وأبي يوسف (ت ١١٣ هـ . ٧٩٨ م)^{٨١} ومحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٣١ هـ - ٨٠٤ م)^{٨٢} في الفقه، والعقيدة^{٨٣}.

الثاني: خاص. امتاز اسلوب السالمي في كتاباته بأسلوب سهل وواضح حتى يستطيع أن يستفيد منه من عنده بضاعة قليلة من العربية مما يمكن الطلاب من دراسة مذهب الماتريدية دراسة عميقة وكاملة، كما رجح أبو شكور السالمي الكيشي إلى أقوال الصحابة، والتابعين وتابعيهم في فهم معاني الآيات والأحاديث، كما ينقل عنهم أقوالهم في العقيدة والتوحيد، واستفاد من المناظرات العلمية التي كانت تجري بين علماء أهل السنة، وبين ممثلي المذاهب والفرق الضالة^{٨٤}.

١٠. مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

نظرا لمكانة الإمام السالمي العلمية، وتقديرا لجهوده في تطوير وتقديم المدرسة الماتريدية فقد أثنى عليه كثير من العلماء منهم على سبيل المثال:

أ- الشيخ عبد العزيز منصور: الذي يقول في مقدمة كتابه (المتون العقائدية) مثنيا على السالمي فيقول: (أبو شكور السالمي له كتاب التمهيد المشهور بين العلماء في عقيدة الماتريدية ووصل إلينا من مخطوطاته ومطبوعاته)^{٨٥}.

^{٨٠} مالك بن أنس أحد الأئمة الأربعة (٩٣ ١٧٩ هـ = ٧١٢ ٧٩٥ م) راجع الأعلام ج ٥ ص ٢٥٧.

^{٨١} يعقوب بن إبراهيم الأنصاري المشهور بأبي يوسف (١١٣ هـ - ١٨٢ هـ / ٧٣١ ٧٩٨ م) راجع الأعلام ج ٨ ص ١٩٣.

^{٨٢} محمد بن الحسن الشيباني (١٣١-١٨٩ هـ = ٧٤٨ ٨٠٤ م) راجع الأعلام ج ٦ ص ٨٠.

^{٨٣} راجع مقدمة كتاب التوحيد ص ٥.

^{٨٤} راجع مقدمة كتاب التوحيد ص ٣: ٥.

^{٨٥} راجع مقدمة كتاب التمهيد ص ٤.

ب- أورد كلودي جيللاد: من مستشرفي أوربا يقول: (أنه لم تكن في ما وراء النهر إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري كتب كاملة في الكلام، فلما جاء هذا العصر ألف أبو شكور السالمي كتابه التمهيد الذي يعتبر أكمل الكتب المؤلفة في الكلام، والكتاب كان له دور كبير في الماتريديّة)^{٨٦}.

ت- أولريخ رودالف: مستشرق ألماني: هذا الرجل أعطى السالمي تقديرا عاليا لآرائه حول الجوهر والعرض في كتابه: (الماتريدي والهيات سمرقند السنية) حيث قال: (وكان تعريف السالمي بدقته يكمل ما ينقص في قيود مختارات الماتريدي، إلا أنه بين كتابه وكتاب التوحيد شبه واضح، وما يقول في هذا المقام هو نفس أسلوب تفكير الماتريدي)^{٨٧}.

وفاته: مثلما لم تذكر كتب التراجم تاريخا محمدا لميلاده كذا لم تذكر تاريخا لوفاته، إلا أنها تشير إلى أنه توفي في أواخر القرن الخامس، أو بداية القرن السادس الهجري^{٨٨}، وفي مصادر أخرى أنه توفي في سنة ٧٣٩هـ^{٨٩}، والصحيح الرأي الأول.

وبذا نكون قد انتهينا من الحديث عن عصر الإمام السالمي، وعن حياته، والذي وضع أن عصره كان تحت الحكم الإسلامي في خلافة بني العباس السنية، وتميز هذا العصر بالاهتمام بالعلم والعلماء؛ لذا ظهر في تلك الفترة علماء في كل التخصصات حتى أصبحت بلاد ما وراء النهر منبعا يصب في كل الدنيا كما رأينا فيما سبق، وكان من العلماء البارزين في تلك الفترة الإمام

^{٨٦} نفس المرجع نفس الصفحة.

^{٨٧} نفس المرجع ص ٤.

^{٨٨} راجع التمهيد في بيان التوحيد ص ١، وأنظر/ شَمُّ الغوارض في ذمِّ الرُّؤايفِض/ لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) تحقيق: د. مجيد الخليفة الناشر: مركز الفرقان للدراسات الإسلامية الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م / ج ١ ص ٣٥.

^{٨٩} وأنظر خزانة التراث رقم: ١١٥٣١٧ الفن: عقائد، عنوان المخطوط: التمهيد في بيان التوحيد اسم المؤلف: محمد بن عبد السيد بن شعيب، السالمي اسم الشهرة: السالمي تاريخ الوفاة: بعد ٧٣٩هـ مركز الملك فيصل الرياض برقم: ب ٩٣٥١-٩٣٥٣.

السالمي الكيشي فكان ذا فكر مستنير يربط فيه المنقول بالمعقول؛ حتى أصبح يلقبونه: بإمام الهدى؛ نتيجة لإسهاماته العلمية، وسوف يتضح هذا أكثر عند عرضنا لموضوع (عصمة الأنبياء عليهم السلام) من وجهة نظر الإمام السالمي الكيشي خاصة، ومتكلمي الإسلام على وجه العموم، لتتضح الرؤية كاملة في هذا الموضوع، ومع من كان الإمام السالمي الكيشي؟ ولن يتحقق هذا إلا بتحديد المشكلة التي يدور حولها البحث بصفة عامة فنقول.

- النقطة الثالثة

تحديد مشكلة البحث

الم تأمل لكلام السالمي الكيشي، ولذاهب وآراء متكلمي الإسلام في عصمة الأنبياء عليهم السلام يجد أنهم لم يكونوا على رأى واحد في تلك المسألة؛ وذلك لاختلافهم في الدوافع والمطلقات، من هنا جاءت آراؤهم في هذه المسألة متنوعة ومختلفة حول الإجابة عن هذه التساؤلات: هل عصمة الأنبياء عليهم السلام تكون في الأمور العقائدية، أم التشريعية، أم الأخلاقية؟ وهل قبل بعثتهم أم بعدها؟ وهل تكون عصمتهم من الصغائر، أم الكبائر، عمداً، أو سهواً؟ وهل تثبت عصمتهم قبل الولادة أم بعدها؟ وهل تستمر إلى ما بعد الموت أم ماذا؟ كل هذه الأمور لم تكن محل اتفاق فيما بينهم، فلا بد أن ندرس هذه المسألة في ضوء كل هذه التساؤلات، ولعل هذا ما دفع الإمام السالمي الكيشي أن يصدر بما موضوعه كما سيأتي؛ ولعل نفس السبب هو الذي دفع الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ = ١٢١٠م)^{٩٠} إلى أن يعقد فصلاً كاملاً في تحديد المشكلة في هذا الموضوع فيقول: (اعلم أن الاختلاف في هذه المسألة واقع في أربعة مواضع:-

(الأول) ما يتعلق بالاعتقادية، واجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة إلا الفضيلية^{٩١} من الخوارج^{٩٢} فإنهم يجوزون الكفر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛

^{٩٠} أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ولد ٤٤٥ هـ = ١١٥٠ م راجع الأعلام ج ٦ ص ٣١٣.

^{٩١} من فرق الخوارج أتباع فضل بن عبدالله أحد شيوخهم راجع كتاب الثلاث وسبعين فرقة ص ٣٠. وانظر المحصل

للرازي ص ٢١٩، وراجع المقالات الأشعري ج ١ ص ١٩٧.

^{٩٢} هم الذين خرجوا على علي رضوان الله عليه ففسبوا لها. راجع المقالات ج ١ ص ١٦٧.

وذلك لأن عندهم يجوز صدور الذنوب عنهم، وكل ذنب فهو كفر عندهم، فبهذا الطريق جوزوا صدور الكفر عنهم، والروافض^{٩٣} فإنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر على سبيل التقية^{٩٤}.
(الثاني) ما يتعلق بجميع الشرائع والأحكام من الله تعالى، وأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع.

(الثالث) ما يتعلق بالفتوى، وأجمعوا على أنه لا يجوز تعمد الخطأ، فأما على سبيل السهو فقد اختلفوا فيه.

(الرابع) ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم، وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب:

(الأول) الحشوية^{٩٥}: وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

(الثاني) أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة، وأما تعمد الصغيرة فهو جائز، بشرط أن لا تكون منفراً، وأما إن كانت منفراً فذلك لا يجوز عليهم، مثل التطفيف بما دون الحبة وهو قول أكثر المعتزلة^{٩٦}.

(الثالث) أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على

سبيل الخطأ في التأويل، وهو قول أبي علي الجبائي (ت ٣٠٣ هـ = ٩١٦ م)^{٩٧}.

^{٩٣} فرق من فرق الشيعة أنظر المخلص ص ٢١٩.

^{٩٤} مبدأ من مبادئ الشيعة ويعني إظهار الفرد خلاف ما يبطن. راجع المعجم الوجيز ص ٦٧٩.

^{٩٥} الحشوية: الحشوية ليست فرقة معينة، وإنما هي فئات مختلفة تجمعها روح واحدة تتسم بالتعصب للنصوص والفهم الحرفي لها دون تمحيص أو نقد كاف لمحتواها أو للطريق الذي وردت منه، وأداهم ذلك إلى التحسيم والتشبيه أي نسبة صفة المخلوقات والأشياء المادية الجسمية لله تعالى. أنظر تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر الدمشقي المتوفي ٥٧١ هـ طبعة دار الفكر بدمشق الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ القدس.

^{٩٦} اتباع واصل بن عطاء. راجع المقالات ج ١ ص ٢٣٥، راجع تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٠.

^{٩٧} محمد بن عبد الوهاب الجبائي ولد ٢٣٥ هـ ٨٤٩ م وتوفي ٣٠٣ هـ ٩١٦ م. راجع الأعلام ج ٦ ص ٢٥٦.

(الرابع) أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ، أما السهو والنسيان فحائز ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان، لما أن علومهم أكمل، فكان الواجب عليهم المبالغة في التيقظ، وهو قول أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام (ت ٢٣١هـ = ٨٤٥م)^{٩٨}.

(الخامس) أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة لا بالعمد ولا بالتأويل ولا بالسهو والنسيان وهذا مذهب الشيعة^{٩٩}. واختلفوا أيضا في وقت وجوب هذه العصمة، فقال بعضهم: إنها من أول الولادة إلى آخر العمر، وقال الأكثرون: هذه العصمة إنما تجب في زمان النبوة، فأما قبلها فهي غير واجبة، وهو قول أكثر أصحابنا رحمهم الله تعالى.

والذي نقول: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد أما على سبيل السهو فهو جائز^{١٠٠}.

ويشير إلى ذلك الإمام سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣ = ١٣٩٠م)^{١٠١} فيقول: (والمعجزة تقتضي الصدق في دعوى النبوة، وما يتعلق بها من التبليغ وشرعية الأحكام فما يتوهم صدوره عن الأنبياء من القبائح، إما أن يكون منافيا لما يقتضيه المعجزة كالكذب فيما يتعلق بالتبليغ أو، لا، والثاني إما أن يكون كفرا، أو معصية غيره، وهي إما أن تكون كبيرة: كالقتل والزنا، أو صغيرة منفرة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة أو غير منفرة ككذبة وهم بمعصية كل ذلك: إما عمدا، أو سهوا، وبعد البعثة، أو قبلها، والجمهور على وجوب عصمتهم عما ينافي مقتضى المعجزة، وقد جوزه القاضي (الباقلائي ت ٤٠٢ هـ = ١٠١٣م)^{١٠٢} سهوا زعما منه أنه لا يدخل في التصديق المقصود بالمعجزة، وعن الكفر وقد جوزه الأزرق^{١٠٣} من الخوارج بناء على تجويزهم الذنب مع قولهم،

^{٩٨} إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري توفي ٢٣١ هـ = ٨٤٥ م راجع الأعلام/ ج ١ ص ٤٣.

^{٩٩} وإنما قيل لهم شيعة لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر الصحابة. راجع المقالات ج ١ ص ٦٥. وراجع محصل المتقدمين والمتأخرين ص ٢١٩.

^{١٠٠} عصمة الأنبياء للإمام الرازي (٥٤٣: ٦٠٦هـ) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان/ ص ٢٦، وانظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ص ٢١٦.

^{١٠١} مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ولد ٧١٢ = ٧٩٣ = ١٣١٢ م راجع الأعلام ج ٧ ص ٢١٩.

^{١٠٢} محمد بن الطيب بن محمد الباقلائي (٣٣٨ هـ - ٤٠٢ هـ / ٩٥٠م - ١٠١٣م) راجع الأعلام ج ٦ ص ١٧٦.

^{١٠٣} اتباع نافع ابن الأزرق بن قيس الحنفي المتوفي ٦٥ هـ = ٦٨٥ م راجع الأعلام ج ٧ ص ٣٥١.

بأن كل ذنب كفر، وحوز الشيعة إظهاره تقية واحترازا عن إلقاء النفس في التهلكة، ورد بأن أولى الأوقات بالتقية ابتداء الدعوة لضعف الداعي وشوكة المخالف، وكذا عن تعمد الكبائر بعد البعثة فعندنا سمعا، وعند المعتزلة عقلا وجوزة الحشوية: إما لعدم دليل الامتناع، وإما لما سيجيء من شبه الوقوع، وكذا عن الصغائر المنفرة لإخلالها بالدعوة إلى الاتباع؛ ولهذا ذهب كثير من المعتزلة إلى: نفي الكبائر قبل البعثة أيضا، وبعض الشيعة إلى نفي الصغائر ولو سهوا، والمذهب عندنا منع الكبائر بعد البعثة مطلقا، والصغائر عمدا لا سهوا، لكن لا يصرون، ولا يقرون، بل يبنهون فيتبنهون، وذهب إمام الحرمين (ت ٤١٩هـ - ٤٧٨هـ) ^{١٠٤} منا، وأبو هاشم (ت ٣٢١هـ = ٩٣٣م) ^{١٠٥} من المعتزلة إلى: تجويز الصغائر عمدا ^{١٠٦}.

والواضح من خلال ما سبق مدى اختلاف متكلمي الإسلام حول عصمة الأنبياء عليهم السلام حتى في داخل المدرسة الواحدة نجد الرأي والرأيين، ويكمن اختلافهم في تساؤلين: متى تكون العصمة، ومن أي شيء تكون؟ وعند اجابتهم على هذين التساؤلين ما كانت اجبتهم واحدة فظهرت المشكلة؛ ولو اتفقوا ما ظهرت مشكلة أصلا، وحاول متكلموا الإسلام إثبات عصمة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، والرد على من يطعن فيها، وكان من هؤلاء الإمام السالمي الكيشي؛ لذا سنبدأ بعرض رأيه في هذه المسألة، ولكن قبله لا بد أن ننوه إلى تعريف العصمة لغة واصطلاحا فنقول.

^{١٠٤} عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي الجويني، الملقب بإمام الحرمين (٤١٩هـ - ٤٧٨هـ) راجع الأعلام ج ٤ / ص ١٦٠.

^{١٠٥} عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ولد ٢٤٧ ٣٢١هـ = ٨٦١ ٩٣٣م راجع العلام ج ٤ ص ٧.

^{١٠٦} شرح المقاصد في علم الكلام لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ت ٧٩١هـ تحقيق دار المعارف النعمانية لسنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ج ٢ ص ١٩٣، وانظر ج ٢ / ص ١٤٢ بدون طبعة.

المبحث الأول

العصمة بين مدلول اللغة ومفهوم الاصطلاح

قبل الشروع في عرض مذاهب متكلمي الإسلام في عصمة الأنبياء عليهم السلام أرى أنه من الأهمية بمكان تحديد حقيقة العصمة لغة واصطلاحاً، فتحديد الألفاظ والمصطلحات يسهم في تجلي المعاني والحكم عليها، فكما نعلم أن الحكم متوقف على التصور. ومن المعروف لغوياً أن الحروف: إما أن تكون حروف مباني، أو حروف معاني، وبتطبيق ذلك على مفهوم العصمة نجد أهل التخصص قد استرع انتباههم هذان الأمران، فوددت أن ابرز ذلك عندهم؛ فذلك يسهم في الحكم على ما تبنته الفرق الكلامية من آراء أصبحت فيما بعد معتقدات عند أنصارهم؛ وبالتالي يمكننا بأسهل الطرق معرفة الموافق والمخالف للغة القرآن الكريم؛ ولتحقيق ذلك جعلت هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: العصمة بين الاستعمال اللفظي والمعنى اللغوي.

المطلب الثاني: العصمة في الاصطلاح.

- المطلب الأول

العصمة بين الاستعمال اللفظي والمعنى اللغوي

مادة العصمة مشتقة ومأخوذة من الفعل (عَصَمَ) فيقال: عصم يعصم عصمة، واسم الفاعل عاصم، والمفعول معصوم، وهذه الكلمة تطلق لغة ويراد بها معانٍ عدة منها:
١- المنع: يقال: عصمه يعصمه عَصْمًا: منعه ووقاه وتقول: عصم الله عبده: أي منعه ممَّا يوبِّقُّه، ويقال: عصمته من الطَّعام؛ أي: منعه عن تناوله، وعصمته من الكذب؛ أي: منعه.

ويحمل على هذا المعنى قوله تعالى: "قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ"^{١٠٧} أي: يمنعني من الغرق، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ"^{١٠٨} أي: امتنع امتناعاً شديداً،^{١٠٩}.

^{١٠٧} سورة هود: الآية ٤٣.

^{١٠٨} سورة يوسف: الآية ٣٢.

وجاء هذا المعنى في الحديث: "أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصِمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ" ^{١١٠} أي: منع منِّي ماله ونفسه.

٢- الحِفْظُ: يقال: عصمه الله من المكروه: أي وقاه وحفظه واعتصمْتُ بالله أي امتنعت بلطفه من المعصية، فالمعصوم إذا من حفظه الله أي من عصمه الله بأن حماه من الوقوع في الهلاك، أو ما يجزُّ إليه ومنه قوله تعالى: "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" أي يحفظك.

٣- القلادة: العِصْمَةُ القلادة، والجمع الأعصام، والمعصم: موضع السَّوَارِ من السَّاعِدِ.

٤- الحَبْلُ: أصل العِصْمَةُ الحبل، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه، والعصام رباط القرية وسيرها الذي تحمل به.

٥- السبب: ولذلك قيل للسبب الذي يتسبب به الرجل إلى حاجته عصام، ويعني بالعصم: الأسباب، فيقال: اعتصمْتُ بفلان أي جعلته سبباً للنجاح والعصمة من المخاطر، ومنه قوله تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا" ^{١١١} أي الله هو سبب عصمتكم مما تخافون منه ^{١١٢}.

من خلال استعراضنا للمعنى اللغوي لكلمة العصمة يمكننا أن نستخلص: أن هذه الكلمة وإن تعددت ألفاظها لغة إلا أنها اتحدت في المعنى، فهذه الألفاظ المشار إليها سابقاً ترجع كلها للمعنى الأوَّل (المنع):-

١- فالحفظ: منع للشئ من الوقوع في المكروه والمحذور.

٢- والقلادة: تمنع من سقوط الخرز منها فكأنها منعت.

٣- والحبل: يمنع من السقوط والتردي إلى أسفل.

^{١٠٩} سورة المائدة: الآية ٦٧.

^{١١٠} الحديث صحيح وقد رواه البخاري برقم ٢٥/ قال: باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)، ورواه مسلم برقم ٢٢: قال: باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله).

^{١١١} سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

^{١١٢} راجع لسان العرب جمال الدين (ابن منظور) (حرف العين) مادة عصم/ ج ٩/ ص ٢٤٤: ٢٤٨ ط دار احياء التراث العربي الطبعة الثالثة لعام ١٤١٩ هـ = ١٩٩٩ م، وأنظر المعجم الوجيز ص ٤٢٢ ط وزارة التربية والتعليم لسنة ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م.

٤- والسبب: يمنع صاحبه من الوقوع فيما يكره.

ومن هذا المعنى أخذت عصمة الأنبياء عليهم السلام؛ فهي تمنعهم من ارتكاب المعصية، بحفظ الله تعالى لهم، وتمسكهم بسببها، وجبلها المتين، فمنعوا من التزدي والسقوط في المعصية.

- المطلب الثاني

العصمة في الاصطلاح

وقد عرف الإمام الجرجاني (ت ٨١٦هـ = ١٤١٣م)^{١١٣} العصمة وقسمها إلى قسمين فقال: (ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها، العصمة المؤتممة هي التي يجعل من هتكها آثماً، العصمة المقومة: هي التي يثبت بها للإنسان قيمة بحيث من هتكها فعليه القصاص، أو الدية)^{١١٤}. وعند الأشاعرة^{١١٥}: ألا يخلق الله في العبد ذنباً، وقيل: خلق قدرة الطاعة، وعند الحكماء^{١١٦} ملكة نفسانية تمنع صاحبها من الفجور^{١١٧}، والفرق بينهما ظاهر فاختارت الأشاعرة كون العصمة منحة إلهية، والحكماء ملكة نفسانية مكتسبة.

وقد عرفها القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩م)^{١١٨} بتعريف جامع مانع وهو أتمها: (لطفٌ من الله يَحْمِلُ النَّبِيَّ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَيُزَجِرُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَعَ بَقَاءِ الْإِخْتِيَارِ تَحْقِيقًا لِلإِبْتِلَاءِ)^{١١٩}. وقد شرح ذلك في الشفاء بعنوان: الباب الأول فيما يختص بالأموال الدينية والكلام في عصمة نبينا عليه الصلاة والسلام، وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم ضاربا مثالا بإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم فقال: (اعلم أن الطوارئ من التغيرات، والآفات على آحاد البشر لا يخلو: أن

^{١١٣} علي بن محمد بن علي الجرجاني (٧٤٠ ٨١٦ هـ = ١٣٤٠ ١٤١٣ م) راجع الأعلام للزركلي ج ٥ / ص ٧.

^{١١٤} التعريفات للجرجاني ص ١٥١ ط مكتبة القرآن ١٤٣٢ هـ = ٢٠٠٣. ت محمد علي أبو العباس.

^{١١٥} اتباع الأشعري ويطلق عليهم والماتريدية أهل السنة والجماعة راجع تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٥١ ط دار الفكر العربي

^{١١٦} الفلاسفة وقد شرح الإمام الرازي مذهبهم في المحصل ص ٢١٧.

^{١١٧} راجع كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج ٤ ص ١٠٤٧: ١٠٤٨. نقلًا عن التعريفات ص ١٥١.

^{١١٨} عياض بن موسى بن عياض (٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ / ١٠٨٣م - ١١٤٩م) الأعلام ج ٥ / ص ٩٩ تذكرة الحفاظ

ج ٤ ص ٦٨

^{١١٩} نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض (٣٩ / ٤).

تطراً على جسمه، أو على حواسه بغير قصد واختيار، كالأمرض والأسقام، أو تطراً بقصد واختيار وكله في الحقيقة: عمل، وفعل، ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع:

- عقد بالقلب.
- وقول باللسان.
- وعمل بالجوارح.

وجميع البشر تطراً عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار، وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها، والني صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر، ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر، فقد قامت البراهين القاطعة، وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم، وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار، وعلى غير الاختيار^{١٢٠}.

والواضح من خلال تعريف القاضي عياض: أنه جمع بين كون العصمة منحة، وبين كونها ملكة، فالعصمة إذا: منحة إلهية تمتع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة على فعلها. هذا وسوف يتضح معنى العصمة أكثر عند استعراضنا لرأي الإمام السالمي الكيشي، من ناحية تحديده للمشكلة، واستعراضه لآراء ومذاهب متكلمي الإسلام، وإقامته للأدلة التي تثبت صحة مذهبه، ومناقشته لمخالفه في تلك المسألة، وسيكون هذا هو محور المبحث التالي.

^{١٢٠} الشفا/ للقاضي عياض تقدم د محمد عمارة ج ٢ ص ١١١ ط مجمع البحوث الإسلامية الأزهر الشريف.

المبحث الثاني

موقف الإمام المهدي أبي شكور السالمي الكيشي من عصمة الأنبياء عليهم السلام
لما كان رأي الإمام المهدي أبي شكور السالمي الكيشي في عصمة الأنبياء عليهم السلام
هو بيت القصيد في بحثنا هذا بدأنا به، من حيث تصوير رأيه في هذا الموضوع، وعرضه لآراء المثبتين
والمنكرين مع ذكر أدلته على صحة مذهبه، مختتمين رأيه بمناقشته لمخالفه وذلك بدفع ومنع ما قد
يثار حول مذهبه من شبهات ذاكرين سند منعه، ليتضح لنا مدى موافقته أو مخالفته لكل تلك
الآراء.

وعليه فقد قسمت هذا المبحث لثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تصوير مذهب أبي شكور السالمي في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الثاني: أدلته على صحة ما ذهب إليه في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الثالث: دفعه لما يثار حول مذهبه من شبهات في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

- المطلب الأول

تصوير مذهب أبي شكور السالمي الكيشي في عصمة الأنبياء عليهم السلام المتأمل لكلام
الإمام السالمي الكيشي في هذا الشأن يتضح له أن مذهبه يتلخص في نقطتين: -
الأولى: عرضه لمذاهب المثبتين والمنكرين لعصمة الأنبياء عليهم السلام.
الثانية: تصويره لمذهبه في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

النقطة الأولى

عرضه لمذاهب المثبتين والمنكرين لعصمة الأنبياء عليهم السلام بدأ الإمام السالمي الكيشي
حديثه بتحديد مشكلة البحث، وذلك من خلال تصويره لمذاهب المثبتين والمنكرين لعصمة الأنبياء
حاصرا وجهة نظره في تلك المشكلة في احتمالات هي بمثابة تساؤلات:

١- هل الأنبياء عليهم السلام معصومون:

- قبل مولدهم، أم بعده؟
- قبل إنبائهم، أم بعده؟
- حال حياتهم، أم بعدها؟

٢- هل الأنبياء عليهم السلام معصومون فيما سبق من الذنوب سواء:

- كافر: كالشرك بالله تعالى وعبادة غيره؟
 - كبائر: كالزنا، والقتل، والسرقه؟
 - صغائر: سواء أكانت منفرة، أم غير منفرة؟
 - ٣- هل ما نسب إليهم عليهم السلام من ذنوب كانت:
 - عمدا وقصدا وعزما، أم خطأ ونسيانا وسهوا؟
 - جبرا، أم اختيارا؟
 - والملاحظ أن الإمام السالمي الكيشي أشار في ترديده:
 - الأول: ذات النبي وشخصه حال منحه العصمة من عدمها.
 - وفي الثاني: ذات الذنب حال ارتكاب النبي له.
 - وفي الثالث: حال النبي حين صدور الذنب عنه: عمدا أم سهوا، جبرا أم اختيارا.
 - وعند استعراضه لتلك المذاهب: بدأ بالأشاعرة، وثنى بالكرامية، ثم اختتم بالمعتزلة.
- أولا . مذهب الأشاعرة.
- أشار الإمام السالمي الكيشي إلى أن الأشاعرة: فرقوا بين حال الرسل والأنبياء قبل إنبائهم وبعده: .
- فقبل إنبائهم عن طريق الوحي: ليسوا بأنبياء ولا رسل، وعليه فليسوا بمعصومين إلا من الكفر.
 - وبعد إنبائهم: فهم أنبياء فيكونوا معصومين من الكبائر والصغائر.
 - كما أنه أشار إلى أنهم فرقوا بين حياتهم وموتهم:
 - فقبل موتهم يكونوا أنبياء.
 - وبعده ليسوا بأنبياء.
- وبعد أن صور الإمام السالمي الكيشي رأي الأشاعرة حكم عليه بالخطأ، بل وصفه بالخطأ العظيم؛ لأنهم يجوزون صدور كل المعاصي من الأنبياء قبل بعثتهم ما عدا الكفر.

وفي هذا يقول: (اعلم بأن الناس تكلموا فيه، قالت الأشعرية: إن الأنبياء والرسل عليهم السلام، قبل الوحي والإنباء ما كانوا رسلا ولا أنبياء، وليس بمعصومين من المعاصي غير الكفر، وكذلك بعد الوفاة لا يكونوا أنبياء، وهذا خطأ عظيم)^{١٢١}.
ثانياً- مذهب الكرامية^{١٢٢}.

أشار المهتدي السالمي الكيشي إلى أن الكرامية لم تكن على رأي واحد في عصمة الأنبياء عليهم السلام ولكنهم كانوا فرقا وأحزابا:

- فمنهم من قال: إن النبي لا يكون نبيا قبل الوحي، ولكنه يكون معصوما عما يوجب الحد والتعزير لكونه وليا لله حينئذ، وأيضا معصوما عما يوجب سقوط العدالة بعد الوحي لا قبله.
- ومنهم من قال: بإسقاطها مطلقا في حقهم عليهم الصلاة والسلام قبل الوحي وبعده.
- ومنهم من قال: نفرق بين الرسول والنبي في ثبوت العصمة ونفيها بعد الوحي، فالرسول معصوم والنبي لا.

ويشير الإمام السالمي الكيشي لمذهب الكرامية مكتفيا بذكر فرقة منهم فيقول: (وقالت المتقشفة^{١٢٣} من الكرامية: بأن النبي قبل الوحي لا يكون نبيا ولكن يكون معصوما، لأنه يكون وليا، ثم كل ذنب يوجب الحد والتعزير ويوجب العار والشنار فإنه يكون معصوما منه، وكل ذنب يوجب سقوط العدالة فإنه لا يكون معصوما منه قبل الوحي، وبعد الوحي يكون معصوما. ومنهم من قال: إنه لا يكون معصوما قبل الوحي وبعد الوحي. وقال بعضهم: إن الرسول يكون معصوما بعد الوحي، والنبي لا يكون معصوما)^{١٢٤}.

^{١٢١} التمهيد في بيان التوحيد/ تأليف المهتدي أبو شكور محمد بن عبدالله السعيد بن شعيب السالمي الكيشي/ ص ٩١/ تحقيق ساعة مراد برهموف/ ط طشقند ١٤٣٥ هـ = ٢٠١٤ م.

^{١٢٢} نسبة محمد بن كرام. راجع المقالات ج ١ ص ٢٢٣.

^{١٢٣} تنتمي للكرامية وكانت في أول أمرها تنتشر في خراسان وما وراء النهر وجرجان وطبرستان ثم انتشرت في فلسطين إلى الغرب من بيت المقدس حول قبر ابن كرام المتوفى سنة ٢٢٥ هـ (٨٦٩ م) راجع أحسن التقاسيم للمقدسي ص ١٨٨، وأنظر دائرة المعارف الإسلامية/ ج ١٦/ ص ٤٥٩.

^{١٢٤} التمهيد في بيان التوحيد للكيشي ص ٩١.

ثالثاً- مذهب المعتزلة.

أشار المهدي السالمي الكيشي إلى أن المعتزلة هي أيضا لم تكن على رأي واحد في تلك المسألة حيث كان لهم رأيين متناقضين في ذلك:

- الرأي الأول: أن النبي قبل الوحي يكون نبيا ومعصوما وبعده أولى.
- الرأي الثاني: أن النبي قبل الوحي لا يكون نبيا ولا يكون معصوما.

ويصور المهدي السالمي الكيشي مذهب المعتزلة فيقول: (وأما المعتزلة فقال بعضهم: إن النبي قبل الوحي يكون نبيا ويكون معصوما، وقال بعضهم: لا يكون نبيا، ولا يكون معصوما)^{١٢٥}.

النقطة الثانية

تصويره لمذهبه في عصمة الأنبياء عليهم السلام ارتضى أبو شكور السالمي الكيشي مذهب أهل السنة والجماعة، ويقصد بهم الماتريدية، فأشار إلى أن العصمة: واجبة للأنبياء والرسل من سائر الذنوب: قبل الوحي وبعده، لكنه فرق بينهما حال حياتهم وبعد مماتهم، فأوجبها للرسل حال حياتهم وبعد مماتهم، دون الأنبياء، وذلك لكون الرسل لهم منهج يتبع بعد وفاتهم، أما الأنبياء فلا.

يقول أبو شكور السالمي الكيشي: (وقال أهل السنة والجماعة: إن الأنبياء عليهم السلام قبل الوحي كانوا أنبياء معصومين واجبي العصمة والرسول قبل الوحي كان رسولا ونبيا مأمونا، وكذلك بعد الوفاة)^{١٢٦}.

وبعد أن انتهى السالمي من تصويره لرأيه في عصمة الأنبياء أشار إلى أن ما ذكر دعوى، والدعوى لا تثبت بالدعوى، بل بالبرهان والدليل؛ لذا ساق أدلة تثبت مدعاه في هذا الموضوع تنوعت إلى أدلة نقلية وعقلية كالتالي.

- المطلب الثاني

^{١٢٥} التمهيد في بيان التوحيد للكيشي ص ٩١.

^{١٢٦} نفس المرجع نفس الصفحة.

أدلة أبي شكور السالمي الكيشي على صحة مذهبه في عصمة الأنبياء عليهم السلام وبعد أن صورنا مذهب الإمام السالمي الكيشي في عصمة الأنبياء عليهم السلام نذكر أدلته على صحة مذهبه، والتي تنوعت ما بين أدلة نقلية، وأخرى عقلية كالتالي: -

أولاً: الأدلة النقلية

وتتضمن بعض الآيات القرآنية، وبعض الأحاديث النبوية التي تثبت صحة مذهبه في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

١- الآيات القرآنية ومنها: -

- قوله تعالى: "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنْني عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا" ^{١٢٧}.
- وجه استدلاله بالآية الكريمة:

أن الله تعالى حكى لنا قصة عيسى عليه السلام في القرآن، وما فيها من إشارات ودلالات على أنه نبي معصوم قبل إرساله وإنبائه؛ لأن الوحي والكتاب لا يكونان إلا لنبي مرسل، وليس لطفل أو صبي، وهذا جاء بنص محكم لا يحتمل التأويل، وبالتالي من أنكر دلالاته وإشارته مثل: "كَانَ فِي الْمَهْدِ" و"أَتَانِي الْكِتَابَ" و"وَجَعَلَنِي نَبِيًّا" فقد كفر.

ويشير السالمي لهذه الآية ووجه استدلاله منها فيقول: (والدليل عليه قوله تعالى خبراً عن عيسى بن مريم صلوات الله عليه تصديقا له حيث قال: "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنْني عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا"، ومعلوم أن الوحي لا يكون للصبيان والأطفال، والكتاب لا يكون إلا لنبي مرسل، وهذا نص من غير تأويل ولا تعريض، ومن أنكر ذلك فإنه يصير كافراً) ^{١٢٨}.

- ونظيره قوله تعالى في حق يوسف: "وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" ^{١٢٩}.

^{١٢٧} سورة مريم الآية ٢٩: ٣٠.

^{١٢٨} التمهيد في بيان التوحيد للكيشي ص ٩١.

^{١٢٩} سورة يوسف الآية ١٥.

ووجه الاستدلال: "وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ" فهناك وحى: وهو حي النبوة والرسالة، وموحى إليه، وهو يوسف عليه السلام، وكان صبيا صغيرا^{١٣٠}.

٢- الأحاديث النبوية.

ومن الأحاديث التي استدلت بها قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل متى كنت نبيا؟ فقال: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"^{١٣١}.

ووجه الاستدلال بهذا الحديث: إن الرسول يكون نبيا قبل مولده، بدليل أن المعصوم صلى الله عليه وسلم حين سئل متى كنت نبيا؟ قال: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" ومعلوم أن

^{١٣٠} راجع تفسير الرازي ج ٩ / ص ١٠٢.

^{١٣١} هذا الحديث لم أقف له على تخریج في الصحيحين ولا في الكتب الستة، ولكن أوردته الزركشي في كتابه (اللائئ المنثورة في الأحاديث المشهورة) الحديث السادس عشر بنصه وقال: هذا اللفظ لا أصل له، ولكن المأثور فيه ما رواه الترمذي وغيره إنه قيل يا رسول الله متى كنت نبيا أو كُتبت نبيا؟ قال: "آدم بين الروح والجسد" وقال حسن صحيح، وهناك حديث بنفس المعنى قال عنه الزركشي: اخرج ابن حبان عن سارية والحاكم في صحيحيهما من حديث العرياض بن سارية: "إني كنت عند الله مكتوب حاتم النبيين وآدم لمنجدل في طينته" وهو بمعنى الأول راجع اللآئ المنثورة في الأحاديث المشهورة للزركشي/ ص ١٧٢ / تحقيق مصطفى عبد القادر/ ط دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م بيروت، وأنظر أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب حديث رقم ١١١٢ - حديث: "كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد" فيه قيس بن الربيع تابعي له حديث منكر ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي وقال الهيثمي رجاله ثقات ثم ذكر حديث رقم ١١١٣ - حديث: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" وحكم عليه بأنه موضوع، وكذلك حديث ١١١٤ - حديث: "كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين" لم يصح، راجع أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب تحقيق الحوت، محمد بن درويش بن محمد، الناشر: دار الكتب العلمية حديث رقم ١١١٤.

التمهيد في بيان التوحيد/ ص: ٩٢ / والملاحظ في هذا الحديث جعل الماء قسيم الطين، ولكنه في الحقيقة قسم منه؛ لأن الطين عبارة عن: ماء وتراب، ومن أجل ذلك لم ترد هذه الرواية في كتب الحديث ولم تصح من خلال بحثي، ولكن الذي ورد في كتب السنة عن ميسرة الفجر، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: "وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ" راجع مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م] ج ٣٤ / ص ٢٠٢ / برقم ٢٠٥٩٦. ويمكن الجمع بين الحديث الذي أورده المهدي وبين هذا الحديث أن الماء إشارة إلى الروح، والطين إشارة إلى الجسد، وبذا لا يوجد تعارض بينهما والله أعلم.

نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن موجودا أصلا وآدم بين الماء والطين، فهو لم يكن معصوما وهو صبي فقط كحالة عيسى، بل كان معصوما قبل خلق الإنسان الأول، وعليه فلا بد أن يكون الرسول معصوما؛ لأنه يبلغ مراد الله لعباده، ولولم يكن معصوما لا يكون نبيا، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ولا يكون مصدقا فيه. وفي هذا يقول المهتدي الكيشي: (وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه سئل متى كنت نبيا؟ قال: " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين")^{١٣٢}.

فالحديث يصرح أن الرسول عليه السلام كان نبيا، ومعصوما قبل مولده؛ لملازمة النبوة والرسالة للعصمة من وجهة نظر السالمي الكيشي، وإذا ثبت هذا لنبينا صلى الله عليه وسلم ثبت حتما لبقية الأنبياء عنده؛ لأنه لا فرق بين نبي ونبي لأخوتهم، فمرسلهم واحد، وهدفهم كذلك. ثانيا: الأدلة العقلية.

ذكر المهتدي السالمي الكيشي أدلة عقلية تثبت مدعاه في عصمة الأنبياء عليهم السلام ملخصها: أن أي شيء يدور في فلك الاحتمالات العقلية:

- الوجوب.
- الاستحالة.
- الإمكان.

فالأولان يدلان على الثبوت و النفي المطلقان، والثالث يدل على تساوي الطرفين أعني يجوز أو لا يجوز.

فاختار السالمي الكيشي احتمال الوجوب الضروري في عصمة الأنبياء، فالأنبياء عنده قبل الوحي وبعده معصومون من الكبائر والصغائر، وعليه سقط احتمال الاستحالة، والجواز.

^{١٣٢} التمهيد في بيان التوحيد/ ص: ٩٢/ والملاحظ في هذا الحديث جعل الماء قسيم الطين، ولكنه في الحقيقة قسم منه؛ لأن الطين عبارة عن: ماء وتراب، ومن أجل ذلك لم ترد هذه الرواية في كتب الحديث ولم تصح من خلال بحثي، ولكن الذي ورد في كتب السنة عن ميسرة الفجر، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى كُنَيْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: " وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ" راجع مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م] ج ٣٤/ ص ٢٠٢/ برقم ٢٠٥٩٦. ويمكن الجمع بين الحديث الذي أورده المهتدي وبين هذا الحديث أن الماء إشارة إلى الروح، والطين إشارة إلى الجسد، وبذا لا يوجد تعارض بينهما والله أعلم.

أما الاستحالة فهي نفي يناقض الثبوت الذي هو حتمي للوجوب، فاستحالة عصمتهم يؤدي للظن فيهم وفي دعوتهم؛ للحق الشبهة بهم، فكيف وهم أسوة لغيرهم، وكذا يؤدي لتساوي المرسل والمرسل إليه، فتبطل دعوتهم، ويضيع الهدف من إرسالهم وهو قطع أعذار من أرسلوا إليهم، وإبطال حججهم عند حسابهم ومجازاتهم على أعمالهم، وفق ما شاهدوه وسمعوه من أنبيائهم عليهم السلام.

وأما الإمكان فيتساوى فيه الطرفان: فيجوز أن يكون النبي معصوماً، ويجوز لا، فلو كان نعم فيتحقق المطلوب، وفلو كان لا؛ لتساوى النبي مع آحاد أمته فلا معنى لاصطفائه، وإذا بطل احتمال الاستحالة والإمكان، صح احتمال الوجوب العقلي على عصمتهم عليهم السلام. وقد استدل على ما اختاره من احتمال الوجوب على عصمتهم عليهم الصلاة والسلام بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "من عرف بالكذب فصدقه يكون كذبا"^{١٣٣}. إذا فعصمتهم قبل إنبائهم وبعده عند الإمام الكيشي من موجبات الضرورة، وعدم ثبوتها يؤدي لجواز الكذب والفسق وغيرهما في حقهم ومن هذا شأنه ليس من الحكمة إنزال الوحي عليه لتساويه مع آحاد أمته.

ويشير المهدي الكيشي إلى أدلته العقلية وعلى الاحتمال المختار فيقول: (والمعنى فيه: وهو أن عصمة الأنبياء قبل الوحي والإنباء من موجبات الضرورة، وبعد الوحي أولى؛ لأنه لو لم يكن معصوماً عن الكذب والمعاصي فإنه يورث الشبهة ويقع الشبهة في دعواه؛ لأنه إذا عرف بالكذب أو يجوز منه الكذب فصدقه يحمل على الكذب عادة وطبعاً، على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عرف بالكذب فصدقه يكون كذبا"، ولا يجوز إنزال الوحي على الشخص الكاذب مع ظهور الشبهة في دعواه؛ ولأنه لو ادعى النبوة قبل الوحي كذبا ثم ادعى بعد الوحي صدقا فإنه لا يقبل منه كالأول؛ ولأنه لو لم يكن معصوماً عما يوجب سقوط العدالة فإنه يصير فاسقا، والفاسق ليس من أهل الشهادة لتمكن الشبهة فيه؛ لأنه إذا لم يكن له من الديانة مقدار ما يمنعه عن الفسق فرما لا يحتز عن الكذب، فلهذا قلنا: إنه لا يجوز في الحكمة إنزال الوحي إلى شخص كاذب فاسق فوجب أن يكون معصوماً قبل الوحي من طريق الوجوب لا من

^{١٣٣} لم أقف على تخرجه.

طريق الجواز؛ لأن كل ما كان فيه حق الجواز يستوي فيه الرسول والأمة يجوز أن يكون معصوما ويجوز أن لا يكون معصوما، وأما عصمة الأنبياء إنما ثبت عن طريق الوجوب لا من طريق الجواز^{١٣٤}.

وبعد أن أثبت الإمام الكيشي عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر والصغائر قبل الوحي وبعده بطريق الوجوب رتب عليه نتيجة مؤداها ثبوت النبوة لهم؛ لأنه لا عصمة إلا لنبي. يقول السلمي الكيشي: (فإذا كان واجب العصمة قبل الوحي دل أنه نبي؛ لأن غير النبي لا يجب أن يكون معصوما، فإذا ثبت أن العصمة واجبة في حق الأنبياء عليهم السلام؛ وجب أن يكونوا معصومين عن الصغائر والكبائر؛ لأنه لو جوزنا منهم الكبيرة، فيجوز منهم الكفر، ولو جوزنا منهم الصغيرة فيجوز منهم الكبيرة؛ لأن الصغيرة مع القصد والنية تكون كبيرة وهذا لا يجوز، فوجب أن يكونوا معصومين من الصغيرة والكبيرة، ومعصومين عن النية بالصغيرة والكبيرة)^{١٣٥}.

- المطلب الثالث

دفع أبي الشكور السلمي لما يثار حول مذهبه من شبهات لكي يسلم للسلمي مذهبه أخذ يقوض ما أثاره منكره العصمة من شبهات مؤداها: كيف تزعم ضرورتها وقد صدر عنهم ما يناقضها؟ فاحذ في تنفيذ ذلك بطريقتين: الأولى تفصيلية:

وفيها ذكر أنبياء بالاسم أثبتت حول عصمتهم شبهات بالفعل وهذه الشبهات ثابتة بنص القرآن فكيف يتفق هذا مع القول بعصمتهم، ومن هؤلاء الأنبياء عليهم السلام:

١- إبراهيم الخليل عليه السلام.

جاء في القرآن الكريم بعض الآيات التي تثبت أن إبراهيم عليه السلام قد ارتكب بعض المعاصي التي تتعارض مع عصمته منها: الآية الأولى: "وَاجْتَنِبْني وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأصْنَامَ"^{١٣٦}. والإشكال في هذه الآية يمكننا استنباطه من خلال رد الإمام السلمي على مخالفه، فقد حصره في لفظي: "وَاجْتَنِبْني"، "وَبَنِيَّ"، فأما بالنسبة للفظ الأول "وَاجْتَنِبْني" فهو دعاء ومعلوم أن الأنبياء عليهم السلام لا يعبدون الوثن البتة، وإذا كان كذلك فما الفائدة في قوله: اجتنبني عن

^{١٣٤} التمهيد في بيان التوحيد للكيشي ص ٩٢.

^{١٣٥} التمهيد في بيان التوحيد للكيشي ص ٩٢.

^{١٣٦} سورة إبراهيم الآية ٣٥.

عبادة الأصنام؟ وأما بالنسبة للفظ الثاني: "وَبَيَّ" أنه عليه السلام طلب من الله تعالى أن لا يجعل أبناءه من عبدة الأصنام، والله تعالى لم يقبل دعاءه، لأن كفار قريش كانوا من أولاده، مع أنهم كانوا يعبدون الأصنام!!!

وفي تصوير هذا الاشكال يقول: (فإن قيل: إن الله تعالى أخبر عن إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه وقال: "وَاجْتُنِي وَبَيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ".... ولو كانت العصمة واجبة في حق الأنبياء قبل الوحي فكان نبيا قبل الوحي لما جاز منهم مثل هذا)^{١٣٧}.

وعند دفعه لهذا الاشكال فنده كالتالي:

- ١- إن هذا دعاء وهو جائز من الأنبياء؛ لخوفهم من الخاتمة ليس من تقصير في العبودية، بل لخوفهم من هيبته الله وجلاله، ومعانيتهم لحقيقة الأمر جعلهم يدعون بمثل هذه الدعوات، قياسا بحال نبينا عليه الصلاة والسلام عندما استعاذ من عذاب القبر^{١٣٨} وهو ليس له.
- ٢- ليس العرب من أبنائه بطريق الحقيقة، وإنما أراد بهم الذرية، وأضافهم لنفسه باعتبار ما سيكون في المستقبل.

وفي رد تلك الشبهة يقول السالمي الكيشي: (وأما قوله: "وَاجْتُنِي وَبَيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ" هذا دعاء والدعوات من الأنبياء جائزة، لأن معرفة الأنبياء أقوى وأكد؛ لأنهم عاينوا من الأمر ما عاينوا، فكان معرفة الله تعالى وعظمته وسلطانه وهيبته وجلاله غالبا عليهم السلام، والأنبياء عليهم السلام مأمونون عن خوف الخاتمة، وأما خوف العبودية لا يزول عنهم فمن خوفهم من الله تعالى هيبته وجلاله دعوا بمثل هذه الدعوات، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من عذاب القبر، ومعلوم أن عذاب القبر لا يكون للأنبياء على ما نذكره وكذلك هاهنا، والثاني معنى قوله: "وَاجْتُنِي وَبَيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ" أراد به الذرية والأولاد وأضافهم إلى نفسه فالذرية يكونوا منه)^{١٣٩}.

^{١٣٧} التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٣.

^{١٣٨} عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ). البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٢.

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يُقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ. ثم ذكر نحوه. ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٩.

^{١٣٩} التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٣.

الآية الثانية قوله تعالى: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي" ^{١٤٠} وقوله تعالى: "فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي" ^{١٤١} وقوله تعالى: "فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ" ^{١٤٢}.

والإشكال في هذه الآيات كما هو واضح من كلام الكيشي محصور في قول إبراهيم: "هَذَا رَبِّي" للكوكب والشمس، والقمر، ومعلوم أن القول بربوبيتهم كفر بالإجماع، والكفر غير جائز على الانبياء بالإجماع، فلو كان إبراهيم معصوما ما جاز منه مثل هذا ^{١٤٣}.

وفي تصوير تلك الشبهة يقول السالمي الكيشي: (وكذلك: "فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي" وكذلك في الشمس، والكواكب..... ولو كانت العصمة واجبة في حق الأنبياء قبل الوحي فكان نبيا قبل الوحي لما جاز منهم مثل هذا) ^{١٤٤}.

وعند رده على تلك الفرية رد بعدة وجوه كالتالي:

الأول: استفهامي: على سبيل الإنكار وحينئذ يكون التقدير: (أهذا ربي) واستغنى عن حرف الاستفهام للدلالة الكلام عليه.

الثاني: استهزائي: ومعناه (هذا ربي) في زعمكم واعتقادكم، ونظيره أن يقول المنزه للمجسم أن إلهه جسم محدود أي في زعمه واعتقاده، ونظيره قوله تعالى: "وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ" ^{١٤٥} أي في زعمكم واعتقادكم فالنداء للاستهزاء فهذا مثل ذلك.

الثالث: استدلالي: فجميع مخلوقات الله دالة على وجود الصانع وقدرته باعتبار واحد وهو أنها محدثة ممكنة وكل ممكن فهو محتاج إلى الصانع، فثبت أن الكوكب والشمس والقمر محتاجة إلى صانعها؛ لأنها محدثة ممكنة بدليل تغيرها وأفولها، وحينئذ يكون التقدير: (خالق هذا ربي) ^{١٤٦}.

^{١٤٠} سورة الأنعام الآية ٧٦.

^{١٤١} سورة الأنعام الآية ٧٧.

^{١٤٢} سورة الأنعام الآية ٧٨.

^{١٤٣} تفسير الرازي ج ١٣ ص ٥٠.

^{١٤٤} التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٣.

^{١٤٥} سورة القصص الآية ٧٤.

^{١٤٦} تفسير الرازي ج ١٣ ص ٤٩: ٥٢.

وفي رد تلك الشبهة يقول السالمي الكيشي: (قلنا: معنى قوله: "هذا ربي" أي أهدأ ربي؟ وقال بعضهم: إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء على الكفرة، وقال بعضهم: إن إبراهيم لما رأى القمر بازغا عرف أن له خالقا قال: "هذا ربي" أي خالق هذا ربي، ولما روي عن علي بن أبي طالب^{١٤٧} كرم الله وجهه أنه قال: "ما نظرت في شيء إلا ورأيت الله فيه"^{١٤٨} أي عرفت الله في تخليقه، فثبت أنه أراد به خالقه)^{١٤٩}.

٢- يوسف الصديق عليه السلام.

وكذلك ورد في حق يوسف عليه السلام بعض الآيات التي تنسب إليه فعل المعاصي منها مثلا: الآية الأولى قوله تعالى: "تَوَفَّنِي مُسْلِمًا"^{١٥٠}.

والإشكال الذي ورد في هذه الآية: أن الأنبياء عليهم السلام يعلمون أنهم يموتون لا محالة على الإسلام فما فائدة هذا الدعاء؟ فكان حاصله طلبا لتحصيل الحاصل وهذا لا يجوز في حق الأنبياء لمعرفةهم بحقائق الكلام بل بحقائق الأمور.

وفي تصوير تلك الشبهة يقول الإمام السالمي الكيشي: (فإن قيل: إن الله تعالى أخبر عن يوسف عليه السلام أنه دعا ربه وقال: "تَوَفَّنِي مُسْلِمًا".... ولو كانت العصمة واجبة في حق الأنبياء قبل الوحي فكان نبيا قبل الوحي لما جاز منهم مثل هذا)^{١٥١}.

^{١٤٧} علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (١٣ رجب ٢٣ ق هـ/ ١٧ مارس ٥٩٩م - ٢١ رمضان ٤٠ هـ/ ٢٧ يناير ٦٦١ م) ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره، ومن آل بيته، وكافله، وأحد أصحابه ورابع الخلفاء الراشدين ومن المبشرين بالجنة. راجع مروج الذهب تأليف أبي الحسن المسعودي الهذلي ج ٢ ص ٢.

^{١٤٨} هذا القول نسبه ابن عربي لأبي بكر الصديق فيقول في الفتوحات المكية حين قال: (فلا تظن أن سؤال موسى رؤية ربه أنه فاقد للرؤية التي كانت حالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قوله: " ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله ") راجع الفتوحات المكية لأبن عربي ج ٥ ص ١٧٢ / ط دار الكتب العلمية عام ١٤٢٠هـ: ١٩٩٩م، وسواء النسب فالمعنى: ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله قبله ومعه وبعده، فكأنه يشير إلى حاجة تلك المحدثات إلى محدثها بداية في أخرجها من العدم إلى الوجود، ومرورها بالحاجة إلى الحول والقوة، وفنائها أكبر دليل على محدثها.

^{١٤٩} التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٣.

^{١٥٠} سورة يوسف الآية ١٠١.

^{١٥١} التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٣.

وعند رده على ذلك وضع في اعتباره: ظاهر يوسف عليه السلام وباطنه:-
فأما ظاهره عليه السلام: فقد حيزت له كل نعم الدنيا: جمال، ومال، قيمة، وقامة،
عشيرة، وعزوة، فخاف، فدعا، وهو جائز في حق الأنبياء، ويوسف عليه السلام من باب أولى فمن
حقه أن يخاف على نفسه من كل تلك النعم والعطاءات التي هي بمثابة الفتن، وعند ذلك أظهر
عليه السلام ذل العبودية لمن وصفه أنه من المحسنين، وإن كان مأمون الخاتمة.

وأما باطنه عليه السلام: باطن المحسنين، فالإسلام هنا لا يقصد به الظاهري، ولكن
يقصد به خضوع القلب واستسلامه لبارئه الذي يشاهده ويراه، فيوسف حاله حال المتوسل بمولاه
داعيا إياه أن يتوفاه على هذه الحالة من المشاهدة سالما من كل تلك النعم، لأن الواصل إلى الغاية
كيف يليق به أن يطلب البداية؟

وفي رد تلك الشبهة يقول الإمام السالمي: (قوله تعالى على لسان يوسف: "تَوَفَّيْ مُسْلِمًا"
قلنا: هذا دعاء والدعوات من الأنبياء جائزة، لأن معرفة الأنبياء أقوى وأكد؛ لأنهم عاينوا من الأمر
ما عاينوا فكان معرفة الله تعالى وعظمته وسلطانه وهيبته وجلاله غالبا عليهم السلام والأنبياء عليهم
والسلام مأمونون عن خوف الخاتمة، وأما خوف العبودية لا يزول عنهم فمن خوفهم من الله تعالى
هيبة وجلالا دعوا بمثل هذه الدعوات، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من عذاب
القبر ومعلوم أن عذاب القبر لا يكون للأنبياء على ما نذكره وكذلك هاهنا، وقوله: "تَوَفَّيْ مُسْلِمًا"
أي سالما عن الأمارات وأشباه ذلك)^{١٥٢}.

٣- أخوة يوسف^{١٥٣}

ورد في حقهم بعض الآيات التي تطعن في عصمتهم على اعتبار أنهم أنبياء^{١٥٤} منها:

^{١٥٢} نفس المرجع نفس الصفحات، عذرا كررنا نفس الكلام لتوقف المعنى عليه؛ لأن الكيشي ذكره كرد لما ذكر في
حق إبراهيم، ويوسف عليهما السلام لتشابه ما ذكر في حقهما.

^{١٥٣} ذكر أسماء إخوة يوسف الإمام القرطبي فقال: وأسمائهم روبيل وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، وزبالون،
ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي بنت خال يعقوب وولد له من سريتين أربعة نفر: دان، ونفتالي، وجاد، وأشر
ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف، وبنيامين فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً. راجع
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ / ٨٧ / ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.

قوله تعالى: "وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ"^{١٥٥}، والإشكال في هذه الآية: كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف عليه السلام من بيعه، ومعلوم أن بيع الحر حرام، ولو كانت لهم عصمة لعصمتهم من فعل ذلك^{١٥٦}.

وفي تصوير هذا الإشكال يقول السالمي: (فإن قيل: وأخوة يوسف عليه السلام باعوه بثمن بخس، ومعلوم أن بيع الحر حرام، ولو كانت العصمة واجبة في حق الأنبياء قبل الوحي فكان نبيا قبل الوحي لما جاز منهم مثل هذا)^{١٥٧}.

وقد رد الإمام الكيشي: بأن ما فعلوه كان من غير قصد؛ لأنهم تأولوا فأخطأوا، وكان هذا زلة منهم، علاوة على أن بيع الحر كان مباحا في الأمم الماضية، مستدلا على ذلك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم حكم في ابتداء الإسلام ببيع امرأة بسبب دينها، ثم نسخ ذلك فيما بعد فكذا أخوة يوسف لا يلزم منه طعنا في عصمتهم.

ويشير الكيشي إلى ذلك بقوله: (قلنا: وأما أخوة يوسف عليه السلام باعوه وكانت منهم زلة من غير قصد؛ لأن بيع الحر كان مباحا في الأمم الماضية بسبب السرقة والدين والاقرار ونحو ذلك، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حكم في ابتداء الإسلام ببيع امرأة بالدين عليها أو

^{١٥٤} اختلف أهل العلم قديماً وحديثاً في نبوة إخوة يوسف عليه السلام، بسبب ما صدر منهم نحو أخيهم وأبيهم، وما اقترفته أيديهم، وذهبوا في ذلك مذاهب هي:

١. إخوة يوسف عليه السلام أنبياء.

٢. إخوة يوسف عليه السلام ليسوا بأنبياء.

٣. أن إخوة يوسف عليه السلام نبؤوا بعد ما صدر منهم نحو يوسف عليه السلام.

٤. ومن أهل العلم من توقف في ذلك. هذا بالإجمال وليس المجال مجال تفصيل. راجع تفسير الرازي ج ٩ ص ٩٢

ط دار الفكر ط الأولى لسنة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.

^{١٥٥} سورة يوسف الآية ٢٨.

^{١٥٦} تفسير الإمام الرازي ج ١٨ / ص ٩٢.

^{١٥٧} التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٣.

نحوه ثم نسخت^{١٥٨}، فكذا أخوة يوسف عليه السلام تأولوا في ذلك بسبب الإقرار والسكوت، والخطأ في التأويل زلة منهم فلا يلزم^{١٥٩}.

ثانيا: الرد الإجمالي

وبعد عرضنا للرد المفصل للإمام السالمي الكيشي على شبهات منكري عصمة بعض الأنبياء، ننتقل لرده المجل على ما ورد في حق كل الأنبياء عليهم السلام من شبهات تطعن في عصمتهم.

ويتلخص هذا الرد في علاقة: (العصمة بالكسب)^{١٦٠} فأشار الكيشي إلى أن الفقهاء اعتبروها علاقة عكسية بمعنى: أنه لو وجد الكسب فالعصمة غير متحققة، والعكس صحيح، ولو فرض أن هذا الكسب خالف عصمتهم فهو جائر ويسمونه زلة عن اجتهاد، شريطة أن تحدث دون قصد وعزم، ونظيرها عند الناس يسمونها معصية، وهذه وذلك من صغائر الذنوب وبدون قصد؛ وبالتالي فهي مغفورة بفضل الله ورحمته، وهذا رأي خاصة الفقهاء، وأما عامتهم فيرون: أن الزلة من الأنبياء جائزة بالإطلاق، وأنكرتها المعتزلة بقصد وبدون قصد.

واختار السالمي الكيشي رأي خاصة الفقهاء وهو: أن المعصية لو صدرت من الأنبياء تكون زلة وصغيرة طالما دون قصد وعزم؛ فلا يترتب عليها نقض للعصمة ولا تجرحا في ذواتهم. فآدم عليه السلام لم يتوفر له العزم في معصيته، فكأنها لم تكن، لعدم توفر القصد فيها، حيث قال ربه تعالى عنه: "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْلُغَهُ أَجْلاً أَنْ لَا يَأْتِيَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ لُغْوًا مَعْزُومًا"^{١٦١}.

ويصور الإمام السالمي هذا الرد الإجمالي فيقول: (وقال بعض الفقهاء: بأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من غير شرط الكسب. بيانه: أنه لو وجد منهم من المباشرة والاكتساب من غير

^{١٥٨} لم اقف على تخريجه.

^{١٥٩} نفس المرجع نفس الصفحات.

^{١٦٠} بمعنى: أن النبي عنده من القدرة والإرادة والمشيفة والحرية في فعل الشيء ونقيضه ليتحقق معنى الابتلاء فعصمة الأنبياء ليس كعصمة الملائكة لخلو الثانية من الكسب أي فعل خلاف المأمور به، من أجل ذلك كانت أفضلية الأنبياء على الملائكة.

^{١٦١} سورة طه الآية ١١٥.

قصد منهم مثل ما يوجد منا فيكون منا المعصية ومنهم الزلة، وهو يكون يمثل الصغيرة ولا يكون ذلك منهم قصداً، والله تعالى غفر لهم عند اكتسابهم وعفا عنهم رحمة وفضلاً^{١٦٢}.

ويستدل الإمام السالمي الكيشي على ما انتهى إليه في عصمة الأنبياء عليهم السلام، بأنه لو صح كلام منكري العصمة لترتب عليه محالات:

١ - كفر النبي وأمته.

إنه لو صدر عنهم المعصية بقصد؛ لصدرت عنهم الصغائر التي تؤدي بالإصرار عليها للكبائر، وبالتالي للكفر الذي يبطل الدين ويهدمه، فتكفر أمته بسبب كفره؛ لأنها مأمورة باتباعه، وهذا باطل؛ فصدور الصغائر عنهم عمداً باطل؛ لأن الأنبياء حجة، والحجة لا تبطل ولا تنقض ولا تنقص.

٢ - مساواة النبي والمنتبئ.

إنه لو صدرت عنهم المعاصي بقصد لا يؤيدون بالمعجزات فيبطل صدقهم لثبوت الشبهة في حقهم، وعليه يتساوى النبي والمنتبئ، وهذا باطل، فما بني عليه باطل.

٣ - إرسال الرسل عبث.

إنه لو صدرت عنهم المعصية بقصد لبطلت الحكمة من إرسالهم من كونهم حجة الله على عباده، وهذا باطل، فبطل ما أدى إليه وهو صدور المعصية منهم بقصد وعزم.

ويشير السالمي لتلك المحالات فيقول: (والمعنى فيه: وهو أنه لو حصل منهم المعصية لجاز منهم الصغيرة، ولو جاز منهم الصغيرة لجاز منهم الكبيرة، ولو جاز منهم الكبيرة لجاز منهم الكفر، ولو جاز منهم الكفر يؤدي إلى إبطال الدين والشرائع؛ لأن الكفر يوجب بطلان العمل فيؤدي إلى تكفير الأمة بكفره، وهذا محال؛ فالأنبياء عليهم السلام حجة الله تعالى على خلقه والحجة لا تنقص ولا تبطل، فصح ما قلنا؛ ولأن الرسول يدعي الحق لا محالة ولكن يظهر المعجزة على صحة دعواه، ثم لو جاز منه الكفر لجاز في كل حين وأوان ووقت وزمان، ثم الكفار لو طلبوا منهم المعجزة وهو يكفر بالله تعالى في تلك الساعة؛ لكان لا يقع الفرق بين المدعي والمنكر؛ وكان لا

^{١٦٢} التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٤.

يصح الدعوى على النبوة من غيره لثبوت الشبهة، ولجواز الكفر منه، ولا يجوز من الحكمة أن يرسل رسولا غير آمن من الكفر فيكون في العاقبة هو ومن أنكر فيه على السواء، وهو غير جائز^{١٦٣}. ويشير الإمام السالمي الكيشي إلى ما انتهى إليه فيقول: (والزلة من الأنبياء جائزة عند عامة الفقهاء، وقال بعض المعتزلة: غير جائزة وصورة المسألة: هو أن يكون الصغيرة من غير قصد)^{١٦٤}.

تعقيب:—

يمكننا تلخيص رأي الإمام السالمي الكيشي في مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام في نقاط محددة كالتالي:

- ١- الأنبياء معصومون من كل: الذنوب وخاصة الكبائر بقصد أو بغير قصد، وأما الصغائر: فالذي صدر بقصد وعزم ونية فمعصومون منه، وما صدر سهواً يجوز وتسمى ذلة، وعليه فالأنبياء عليهم السلام معصومون عن الكبائر والصغائر، وكل ما يشين المروءة قبل وبعد البعثة، وأن سائر ما صدر منهم لا يخرج: إما أن يكون بسبب نسيان، أو خطأ في اجتهاد، أو ترك الأولى، ومع ذلك يبهون فينتهون، فالعصمة إذا عنده ثابتة للأنبياء عليهم السلام قبل مولدهم وبعده، حال صغرهم وكبرهم، قبل الوحي وبعده، حال حياتهم وبعدها، وعصمتهم من كل الذنوب عمداً، وبذا وافق بعض فقهاء الحنفية والمعتزلة كما أشار في نهاية رأيه.
- ٢- كان يعتمد في استشهاده على القرآن الكريم مستنبطاً منه الدليل العقلي، وكذا الأحاديث النبوية.
- ٣- الإمام الكيشي عرض هذه المسألة في ثوب جديد غير مألوف عند سابقه من المدرسة الماتريدية.
- ٤- عدم استيعابه لكل الشبه الواردة في حق الانبياء عليهم السلام تفصيلاً، ولكنه راعاها إجمالاً.
- ٥- عدم ذكره لأعلام مذهبه العقدي أو الفقهي في هذا الموضوع مكتفياً بالإشارة للمدارس الكلامية والفقهاء.

^{١٦٣} التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٤.

^{١٦٤} التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٤.

- ٦- تجاهل في تصويبه مرحلة ما قبل ميلاد الأنبياء والرسول، من حيث وجوب العصمة لهم من عدمها، ولكنه راع ذلك عند ذكر أدلته.
- ٧- فرق بين الأنبياء والرسول في وجوب العصمة لهما بعد وفاهما فأثبتها للرسول ونفاها عن الأنبياء، وهذا مخالف لجمهور الماتريدية حيث لا يفرقون بينهما كما هو معلوم.
- ٨- حصر أهل السنة والجماعة كلاميا في جناح واحد (الماتريدية) متجاهلا الجناح الثاني (الأشاعرة) وهذا مخاف لما اتفقت عليه الأمة على جناحي أهل السنة، وقد يكون هذا سببا في نقده لهم في هذه المسألة.
- ٩- إنه سرد مذاهب لفرق ثلاث هي: الأشاعرة، والكرامية، والمعتزلة، منتقدا لمذهب الأشاعرة غير معقب على المذهبين الآخرين، كما انه دمج مذهب الأشاعرة في رأي واحد، ولم يفصله كما فعل مع الكرامية والمعتزلة، وكذا لم يفرق بين الجواز العقلي والشرعي عندهم، كما اكتفى بتصويبه للمذاهب ولم يذكر دليلا ولو واحدا لأي فرقة منهم سواء مثبتا لمذهبه أو نافيا لمذهب خصمه.
- ١٠- أشار الإمام السالمي الكيشي إلى أن هناك مثبتين ومانعين في تلك المسألة، ولكن إشارة للرأي فقط ولم يدلل عليه؛ لهذا لا بد أن نعرض مذهبهما في تلك المسألة على ضوء رأي الإمام الكيشي لمعرفة الحقيقة كاملة، وكذا لنعرف من وافق الكيشي ومن خالف؟ ورأيه ينتهي لأي الآراء؟ وذلك لا يتحقق إلا بعد أن نستعرض آراء المثبتين والمنكرين لعصمة الأنبياء عليهم السلام، ومقارنتها برأي الكيشي بشيء من التفصيل، وسوف نبدأ برأي المثبتين ونثني برأي المانعين وذلك من خلال المبحث التالي.

المبحث الثالث

- عصمة الأنبياء عليهم السلام بين المثبتين والمنكرين

يدور الحديث في هذا المبحث حول: تصوير مذاهب متكلمي الإسلام (المثبتين والمنكرين) في عصمة الأنبياء عليهم السلام، وأدلة كل فريق على مذهبه، ودفعه لما يثيره الفريق المخالف له؛ ليتضح لنا مدى موافقة أو مخالفة رأي الإمام المهدي السالمي الكيشي لتلك الآراء، لذا تضمن هذا المبحث مطلبين:

المطلب الأول: مذهب المثبتين لعصمة الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الثاني: مذهب المنكرين لعصمة الأنبياء عليهم السلام.

- المطلب الأول

مذهب المثبتين لعصمة الأنبياء عليهم السلام

يتضمن هذا المطلب رأي جناحي أهل السنة والجماعة (الأشاعرة والماتريدية) وبعض المعتزلة وغيرهم، وحديثنا عنهم سيكون: أولاً من خلال تصوير مذهبهم، ثم نثني بأدلتهم عليه، ونختتم بدفعهم لما يثار حول مذهبهم من اعتراضات هذا بالإجمال وإليك التفصيل:

أولاً: تصوير رأي المثبتين

١- مذهب الأشاعرة.

أثبت الأشاعرة عصمة الأنبياء بطريق الجواز؛ لأن إرسال الرسل عندهم من الجائزات وليس من المستحيلات؛ لحدوثه بالفعل، ولا من الواجبات لاستحالتها عليه تعالى لانتفاء الموجب، فهي من الواجبات الشرعية، فهي سبب تأييدهم بالمعجزات التي تؤيد دعواهم، وتكون سبباً لقبول رسالتهم، لذا قالوا: بوجوب عصمتهم عما يناقض صدقهم من الكفر والكبائر، ولكنهم تصادموا مع النصوص والاجماع، فالنصوص مصرحة بارتكابهم المعاصي والذنوب بالفعل، والاجماع في اختلافهم مع غيرهم في هذه المسألة؛ لذا أجاز الأشاعرة: صدور الصغائر منهم سهواً لا عمداً قبل النبوة وبعدها.

يشير الإمام الرازي إلى وقت العصمة عندهم فيقول: (عندنا العصمة إنما تعتبر في وقت النبوة لا قبلها)^{١٦٥}.

ويقول في موضع آخر: (والذي نقول: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز)^{١٦٦}.

ويفصل إمام الحرمين مذهب الأشاعرة فيقول: (فإن قيل: بينوا لنا عصمة الأنبياء وما يجب لهم. قلنا: تجب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة، وهذا مما نعلمه عقلاً، ومدلول المعجزة صدقهم فيما يبلغون فإن قيل: هل تجب عصمتهم عن المعاصي. قلنا: أما الفواحش المؤذية

^{١٦٥} تفسير الرازي ج ١٨ / ص ٩٢.

^{١٦٦} عصمة الأنبياء ص ٢٧

بالسقوط وقلة الديانة فتجب عصمة الأنبياء عنها إجماعا ولا يشهد لذلك العقل، وإنما يشهد العقل لوجوب العصمة عما يناقض مدلول المعجزة، وأما الذنوب المعدودة من الصغائر على تفصيل سيأتي الشرح عليه فلا تنفيها العقول، ولم يبق عندي دليل قاطع سمعي على نفيها ولا على إثباتها، إذ القواطع نصوص أو إجماع، ولا إجماع إذ العلماء مختلفون في تجويز الصغائر على الأنبياء، والنصوص التي تثبت أصولها قطعاً ولا يقبل فحواها التأويل غير موجودة، فإن قيل: إذا كانت المسألة مظنونة فما الأغلب على الظن عندكم؟ قلنا: الأغلب على الظن عندنا جوازها وقد شهدت أفاصيص الأنبياء في آي من كتاب الله تعالى على ذلك فالله أعلم بالصواب^{١٦٧}.

ويؤكد الإمام الإيجي (ت ٧٥٦ هـ = ١٣٥٥ م)^{١٦٨} على أن هناك إجماع بين أهل الملل على عصمتهم فيما يخص دعوى الرسالة فيقول: (أجمع أهل الملل والشرائع على عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله، وفي جواز صدوره عنهم على سبيل السهو والنسيان خلاف، فمنعه الأستاذ (الاسفرايني ت ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م)^{١٦٩} وكثير من الأئمة لدلالة المعجزة على صدقهم، وجوزه القاضي (الباقلاني ت ٤٠٢ هـ / ١٠١٣ م)^{١٧٠} مصيراً منه إلى عدم دخوله في التصديق المقصود بالمعجزة.

وأما سائر الذنوب فهي: إما كفر، أو غيره، أما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه، غير أن الأزارقة من الخوارج جوزوا عليهم الذنب وكل ذنب عندهم كفر، وجوز الشيعة إظهاره تقية؛ وذلك يفضي إلى إخفاء الدعوة إذ أولى الأوقات بالتقية وقت الدعوة للضعف وكثرة

^{١٦٧} كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني (٤١٩ هـ = ٤٧٨ هـ) ط مكتبة الخانجي مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م ص ٣٥٦ ٣٥٧.

^{١٦٨} عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار عضد الدين الإيجي (٧٥٦ هـ = ١٣٥٥ م) راجع الأعلام ج ٣ ص ٢٩٥.

^{١٦٩} يقصد الاسفرايني إبراهيم بن محمد أبو اسحاق المتوفي (٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م) راجع الأعلام ج ١ ص ٦١.
^{١٧٠} يقصد الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر (٣٣٨ هـ - ٤٠٢ هـ / ٩٥٠ م - ١٠١٣ م) راجع الأعلام ج ٦ ص ١٧٦.

المخالفين، وأما غير الكفر فإما كبائر أو صغائر كل منهما إما عمدا وإما سهوا، أما الكبائر عمدا فمنعه الجمهور والأكثر على امتناعه سمعا^{١٧١}.

مما سبق يتضح لنا أن: عصمة الأنبياء عليهم السلام عند الأشاعرة تتلخص في:

- أ- من الجائزات العقلية، ولكنها من الواجبات الشرعية؛ لكونها سببا في قبول دعوتهم، وخالفهم الكيشي عندما أشار إلى أنها من الضروريات العقلية.
- ب- وقتها عندهم بعد النبوة وليس قبلها كما أشار الإمام الرازي، وخالفهم الكيشي في ذلك بأنها قبل وبعد.

ت- يجب عصمتهم عليهم السلام: إما عن الكفر، أو غيره، فعن الكفر فمعصومون: قبلها، وبعدها، وعن غيره: كالكذب، والكبائر فالجمهور على منعه، وأما الصغائر فجائزة عندهم سهوا لا عمدا وقصدا، وقد وافق الكيشي جمهور الأشاعرة على ذلك كما سبق.

١- مذهب الماتريدية^{١٧٢}

يرى الماتريدية: أن العصمة ثابتة للأنبياء قبل الوحي وبعده من الكفر والكبائر قصدا وسهوا، أما ما صدر منهم من بعض الزلات فهو على سبيل السهو لا القصد وهذا جائز عندهم؛ لأن الناس غير ملزمين بأخذ أقوالهم قبل الوحي؛ لذا لا تشتط العصمة قبل الوحي فيما صدر عنهم سهوا، وأما ما تشبث به منكرها من ظواهر بعض الآيات التي تنسب بعض الذنوب إليهم فمحمول على ترك الأفضل، من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين؛ حيث إن صدور المعصية منهم على طريق القصد يسقط حجتهم التي أرسلوا بها ليقطعوا حجج العباد.

يقول الإمام البيهقي (ت ٤٩٣هـ - ١١٠٠م)^{١٧٣}: (قال أهل السنة والجماعة: إن الأنبياء والرسل معصومون من الكبائر من الذنوب والصغائر بطريق القصد، أما الزلات فغير معصومين عنها وهو ما يقع من الذنوب عنهم خطأ أو نسيانا)^{١٧٤}.

^{١٧١} شرح المواقف. ج ٣ ص ٤٢٥.

^{١٧٢} اتباع أبي منصور الماتريدي (٢٣٣هـ = ٩٤٤م الأعلام ج ٧ ص ١٩). راجع تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٦٤.

^{١٧٣} أبو اليسر محمد بن محمد بأبو اليسر البيهقي (٤٢١هـ - ٤٩٣هـ / ١٠٣٠-١١٠٠م) الأعلام ج ٧ ص ٢٢.

^{١٧٤} أصول الدين للبيهقي/ ص ١٦٧. ت هانز بيتر لنس ط الحلبي ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.

ويشير البزدوي إلى أدلتهم فيقول: (وجه قول عامة أهل السنة والجماعة وهو: أن الله تعالى بين أن بعض الرسل حصل منهم الذنوب ولا يستقيم أن يكون ذنوبهم عن قصد واختيار، فإنه لو كان كذلك لم يؤمن منهم الكذب فيؤدي إلى أن يفوت ما هو المقصود من الرسالة، ولأنه إذا كان يجيء منهم الذنوب قصدا ينفر طباع الناس عنهم فيؤدي إلى أن لا يكون في بعث الرسل فائدة، ولأن هذا ليس من أفعال المصطفى والخير والله تعالى جعلهم مصطفين وأخيارا ولكن حصل منهم ما حصل بطريق الزلة وهو بطريق الخطأ والنسيان)^{١٧٥}.

ويفصل الإمام أبو البركات النسفي (ت ٥٧١٠هـ - ١٣١٠م)^{١٧٦} ما أجمله الإمام البزدوي فيقول: (والعصمة هي: الحفظ بالمنع والإمسك عن الكفر ثابتة قبل الوحي وبعده.... وأما تشبثهم بقصة آدم وإبراهيم ويوسف.... فظاهره يشعر أنه فعل ما لا يجوز فمحمول على ترك الأفضل، وقد قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.... وعندنا يجوز منهم الذنب قبل الوحي نادرا؛ لأنه قبل الوحي لا يجب على الخلق قبول قولهم فلا يشترط العصمة بخلاف ما بعد الوحي، فلو جازت المعصية عليهم لجاز الكذب عليهم لأنه معصية، وحينئذ لا تلزم الحجة ولا تتضح المحجة؛ لأنه لا يعتمد على خبرهم لاحتمال الكذب في خبرهم، وإنما أرسل الرسل ليقطع حجة العباد، وذا إنما يكون إذا كان على خبرهم الاعتماد، قال الله تعالى: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ"^{١٧٧})^{١٧٨}.

والواضح هو اتفاق جناحي أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بعصمة الأنبياء عليهم السلام، إلا أن الأشاعرة لم تقل بعصمتهم قبل النبوة كما صرح الإمام الرازي، لكن الماتريدية أشاروا إلى أنها ثابتة قبل النبوة وبعدها كما صرح الإمام أبو البركات النسفي، ومن قبله الإمام السالمي الكيشي.

١- موقف المعتزلة

^{١٧٥} أصول الدين للبزدوي/ ص ١٦٩: ١٧٠.

^{١٧٦} عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات (ت. ٥٧١٠هـ - ١٣١٠م) راجع الأعلام ج ٤ ص ٦٧.

^{١٧٧} سورة النساء الآية ١٦٥.

^{١٧٨} الاعتماد في الاعتقاد لابي البركات النسفي تحقيق د عبد الله اسماعيل لعام ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م ص ١٠٩:

لم تكن المعتزلة في عصمة الأنبياء على رأي واحد بل كانت لهم آراء متعددة:

الرأي الأول: هو أن الأنبياء معصومون قبل الوحي وبعده من الصغائر والكبائر، سهوا

وعمدا، وبنوا رأيهم هذا على أصلين من أصولهم وهما:

أ- مسألة التحسين والتقيح العقليين.

ب- وجوب رعاية الصلاح والأصلح.

يبين ذلك السنندجي (ت ١٣٠٤هـ = ١٨٨٧م)^{١٧٩} فيقول: (المختار أن الأنبياء

معصومون عما ينافي مقتضى المعجزة كالكذب في التبليغ، فإن المعجزة تقتضي الصدق في دعوى النبوة وما يتعلق بها من التبليغ فلو جاز القول والافتراء في ذلك عقلا لأدى إلى ابطال دلالة المعجزة، وعن الكفر قبل البعثة وبعدها، وعن تعمد الكفر بعد البعثة سمعا عندنا، لأن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلا إذ لا دلالة للمعجزة عليه، وعقلا عند المعتزلة بناء على أصلهم في مسألة التحسين والتقيح، ووجوب رعاية الصلاح، وعن الصغائر المنفرة كسرقة لقمة وعن تعمد غير المنفرة وعن سهو الكبيرة أيضا)^{١٨٠}.

ويقول الإمام البردوي: (وعند بعض المعتزلة معصومون عن الكبائر والصغائر والزلات

جميعا وهو مذهب بعض أئمة سمرقند وقالوا: زلاتهم وعصيانهم ترك الأفضل)^{١٨١}.

الرأي الثاني: هو نقيض الرأي الأول في عدم عصمتهم مطلقا وبنوه على أصل من

أصولهم الخمسة وهو العدل الإلهي: الذي يقتضي المساواة بين جميع المكلفين؛ فكيف يخصهم الله تعالى بشيء لا يشمل به سائر عباده فهذا يتنافى مع عدالته.

يقول زهدي حسن جارالله (ت ١٩١٤م)^{١٨٢} في كتابه المعتزلة: (المعتزلة في دفاعهم عن

مبدأ الوجدانية راحوا يحاربون كل شيء يتعارض مع هذا المبدأ ويفندونه، كذلك حاربوا كل قول أو

^{١٧٩} الشيخ عبد القادر بن محمد سعيد بن احمد السنندجي المتوفى ١٣٠٤هـ = ١٨٨٧. راجع الأعلام ج ٤ / ٤٤.

^{١٨٠} تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام للسنندجي ص ٥٦: ٥٧ ط ١٤٢٥هـ = ١٤٢٦: ٢٠٠٤: ٢٠٠٥ م ط الازهر.

^{١٨١} أصول الدين للإمام للبردوي ص ١٦٧.

^{١٨٢} ولد زهدي في مدينة القدس سنة ١٩١٤م راجع موسوعة أعلام فلسطين في القرن العشرين، محمد عمر حمادة، سوريا ٢٠٠٠.

فكرة تتنافى مع مبدأ العدل الإلهي من ذلك أنهم نفوا المحاباة عن الله وقالوا: إنه تعالى سوى بين العقلاء في النعم الدينية ولم يخص الانبياء والملائكة بشيء من التوفيق والعصمة ولا بشيء من نعم الدين دون سائر المكلفين^{١٨٣}.

الرأي الثالث: أن الأنبياء تجوز عليهم صغائر الذنوب غير المنفرة، ومن أنصار هذا الرأي الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)^{١٨٤} وأبي هاشم (ت ٣٢١ هـ = ٩٣٣ م)^{١٨٥}.

يقول الزمخشري في الكشف عن تفسيره لقوله تعالى: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى": (بهذا الإطلاق وبهذا التصريح، وحيث لم يقل: وزل آدم وأخطأ وما أشبه ذلك، مما يعبر به عن الزلات والفرطات: فيه لطف بالمكلفين ومزجاة بليغة وموعظة كافية، وكأنه قيل لهم: انظروا واعتبروا كيف نعت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه إلا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر، فضلاً أن تجسروا على التورط في الكبائر)^{١٨٦}.

ويشير الإمام البغدادي (ت ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م)^{١٨٧} في كتابه أصول الدين إلى رأي المعتزلة واختلافهم في هذه المسألة، وأصولهم التي انطلقوا منها فيقول: (واختلفت القدرية: فمنهم من قال: إن ذنوب الأنبياء خطأ من جهة التأويل والاجتهاد ولم يجوزوا عليهم أن يفعلوا ما علموا إنه ذنب قصداً، وقالوا في آدم: إنه قيل له لا تأكل من هذه الشجرة فظن الشجرة بعينها وأكل من شجرة أخرى من جنسها وأراد الله جنسها فأخطأ في التأويل وهذا تأويل الجبائي، وقال ابنه أبو هاشم: إن ذلك كان ذنباً منه ثم قال أبو هاشم: يجوز عليهم الصغائر التي لا تنفر قال النظام، وجعفر بن

^{١٨٣} المعتزلة زهدي جارالله/ ص ١٠٠. ط الأهلوية للنشر والتوزيع.

^{١٨٤} أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. ولد سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م، وتوفي سنة ٥٣٨ هـ الاعلام ج ٧ ص ١٧٨.

^{١٨٥} عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ولد ٢٤٧ ٣٢١ هـ = ٨٦١ ٩٣٣ م راجع العلام ج ٤ ص ٧.

^{١٨٦} تفسير الكشف ج ٣/٩٤ ط دار احياء التراث العربي الطبعة الاولى ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م.

^{١٨٧} عبد القاهر البغدادي (توفي عام ٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م) راجع الاعلام ج ٤ ص ٤٨.

مبشر(ت ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م)^{١٨٨}: إن ذنوبهم على السهو والخطأ وهم مأخوذون بما وقع منهم على هذه الجهة، وإن كان ذلك موضوعا عن أمهم.

وقال أصحابنا: لا معنى لدعوي القدرية عصمة الأنبياء ولا يصح لهم على أصولهم أن يقولوا: إن الله عصمهم عن شيء من الذنوب؛ لأنه قد فعل ما فعلوه بسائر المكلفين من النكير والعدر كلها عندهم يصلح للطاعة والمعصية، وإنما هم عصموا أنفسهم عن المعاصي وليس لله في اعتصامهم تأثير وإنما يصح عصمتهم على أصولنا إذا قلنا: إن الله عز وجل أقدرهم على الطاعة دون المعاصي فصاروا بذلك معصومين عن المعاصي^{١٨٩}.

ويصور صاحب المواقف مذهب المعتزلة عموما فيقول: (وقالت المعتزلة بناء على أصولهم: يمتنع ذلك عقلا، وأما سهوا فجزوه الأكثرون، وأما الصغائر عمدا: فجزوه الجمهور إلا الجبائي، وأما سهوا فهو جائز اتفاقا إلا الصغائر الخسبية كسرقة حبة أو لقمة، وقال الجاحظ (ت ١٥٩ - ٢٥٥ هـ)^{١٩٠}: بشرط أن يبهوا عليه فينتهوا عنه وقد تبعه فيه كثير من المتأخرين، وبه نقول هذا كله بعد الوحي، وأما قبله فقال الجمهور: لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ لا دلالة للمعجزة عليه، ولا حكم للعقل، وقال أكثر المعتزلة: تمتنع الكبيرة وإن تاب منها؛ لأنه يوجب النفرة وهي تمتنع عن اتباعه فتفوت مصلحة البعثة، ومنهم من منع عما ينفر مطلقا كعهر الأمهات والفجور في الآباء، والصغائر الخسبية دون غيرها، وقالت الروافض: لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة فكيف بعد الوحي^{١٩١}.

ثانيا: أدلة المثبتين على صحة مذهبهم

استدل المثبتون لعصمة الأنبياء عليهم السلام على صحة مذهبهم بأدلة كثيرة منها: أن كل من كانت نعمة الله تعالى عليه أكثر كان صدور الذنب منه أقبح وأفحش، ونعمة الله تعالى

^{١٨٨} جعفر بن مبشر الثقفي (توفي ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م) راجع الأعلام ج ٢ ص ١٢٦.

^{١٨٩} أصول الدين للبغدادي المتوفي ٤٢٩ هـ ت أحمد شمس الدين / ص ١٨٩ / ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م.

^{١٩٠} عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الجاحظ الكنايني البصري (١٥٩-٢٥٥ هـ) راجع الأعلام ج ٥ ص ٧٤.

^{١٩١} شرح المواقف ج ٢ ص ٤٢٥.

على الأنبياء أكثر فوجب أن تكون ذنوبهم أفتح وأفحش من ذنوب كل الأمة، وأن يستحقوا من الزجر والتوبيخ فوق ما يستحقه جميع عصاة الأمة؛ وهذا باطل فذاك باطل.

الثاني: أنه لو صدر الذنب منه لكان فاسقا، ولو كان فاسقا لوجب أن لا تقبل شهادته؛ لقوله تعالى: "إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا" ^{١٩٢} وإذا لم تقبل شهادته في هذه الأشياء الحقيرة فأن لا تقبل في إثبات الأديان الباقية إلى يوم القيامة كان أولى وهذا باطل فذاك باطل.

الثالث: أنه تعالى قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم: "وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" ^{١٩٣} وقال تعالى: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" ^{١٩٤} فلو آتى بالمعصية لوجب علينا بحكم هذه النصوص متابعتة في فعل الذنب وهذا باطل فذاك باطل.

وأما جميع الآيات الواردة في هذا الباب فيما أن تحمل على ترك الأفضل، أو إن ثبت كونه معصية لا محالة فذلك إنما وقع قبل النبوة ^{١٩٥}.

ويفصل الإمام الإيجي تلك الأدلة فيقول: (لنا وجوه:

الأول: لو صدر منهم الذنب لحرم اتباعهم وأنه واجب للإجماع ولقوله تعالى: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ".

الثاني: لو أذنبوا لردت شهادتهم إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع ولقوله تعالى: "إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا" واللازم باطل بالإجماع، ولأن من لا تقبل شهادته في القليل من متاع الدنيا كيف تسمع شهادته في الدين القيم إلى يوم القيامة.

الثالث: إن صدر عنهم وجب زجرهم لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإبذائهم حرام إجماعا ولقوله: "إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" ^{١٩٦} الآية ولدخلوا تحت: "وَمَنْ يَعِصِ"

^{١٩٢} سورة الحجرات الآية ٦.

^{١٩٣} سورة الأعراف الآية ١٥٨.

^{١٩٤} سورة آل عمران الآية ٣١.

^{١٩٥} معالم أصول الدين للإمام الرازي/ تحقيق أحمد حجازي السقا ط مكتبة الإيمان الأولى لعام ١٤٢٠ هـ =

١٩٩٩ م ص: ٨٩.

^{١٩٦} سورة الأحزاب الآية ٥٧.

اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ^{١٩٧} وقوله: "أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"^{١٩٨} وقوله: "لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ"^{١٩٩} و"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ"^{٢٠٠}.

الرابع: ولكانوا أسوأ حالا من عصاة الأمة إذ يضاعف لهم العذاب إذ الأعلى رتبة يستحق أشد العذاب لمقابلته أعظم النعم بالمعصية؛ ولذلك ضعف حد الحر، وقيل لنساء النبي: "يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ"^{٢٠١}.

الخامس: ولم ينالوا عهده تعالى لقوله: "أَلَا يَتَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ"^{٢٠٢} وأي عهد أعظم من النبوة.

السادس: ولكانوا غير مخلصين لأن الذنب بإغواء الشيطان، وهو لا يغوي المخلصين لقوله تعالى: "وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"^{٢٠٣} واللازم باطل لقوله تعالى في حق إبراهيم وإسحق ويعقوب: "إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ"^{٢٠٤} وفي يوسف: "إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ"^{٢٠٥}.

السابع: قوله تعالى: "وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"^{٢٠٦} فالذين لم يتبعوه إن كانوا هم الأنبياء فذاك، وإلا فالأنبياء بالطريق الأولى، أو نقول لو كان ذلك

١٩٧ سورة الجنة الآية ٢٣.

١٩٨ سورة هود الآية ١٨.

١٩٩ سورة الصف الآية ٢.

٢٠٠ سورة البقرة ٤٤.

٢٠١ سورة الأحزاب الآية ٣٠.

٢٠٢ سورة البقرة الآية ١٢٤.

٢٠٣ سورة الحجر الآية ٤٠.

٢٠٤ سورة ص الآية ٤٦.

٢٠٥ سورة يوسف الآية ٢٤.

٢٠٦ سورة سبأ الآية ٢٠.

الفريق غير الأنبياء لكانوا أفضل من الأنبياء لقوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" ٢٠٧.

الثامن: أنه تعالى قسم المكلفين إلى حزب الله، وحزب الشيطان فلو أذنبوا لكانوا من حزب الشيطان فيكونون خاسرين لقوله تعالى: "أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ" ٢٠٨.

التاسع: قوله تعالى في حق إبراهيم وإسحق ويعقوب: "إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ" ٢٠٩ والجمع المحلى بالألف واللام للعموم، وقوله: "وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ" ٢١٠ وهما يتناولان جميع الأفعال والتروك لصحة الاستثناء فهذه حجج العصمة ٢١١.

وقد ذكر الإمام السعد ذات الأدلة في مقاصده ٢١٢ وكذا لخصها الإمام السندي في تقريب المرام فيقول: (المختار أن الأنبياء معصومون...؛ وذلك لئلا يلزم ما هو منتف قطعاً؛ كحرمة اتباعهم فإنها منتفية قطعاً؛ لأن اتباعهم واجب بالإجماع، وبقوله تعالى: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَتَّبِعُونِي"؛ ولولا عصمتهم عما ذكر لزم ثبوتها، وكذا رد شهادتهم فإنه أيضاً منقطع بأن من ترد شهادته في القليل من متاع الدنيا لا يستحق القبول في أمر الدين القائم إلى يوم، ولولا عصمتهم عما ذكر لزم أن ترد، وكذا وجوب زجرهم ومنعهم عن ارتكاب ذلك لعموم أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنه منتف؛ لاستلزامه ائذاهم المحرم بالإجماع، وبقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" الآية، واستحقاقهم العذاب والدم لدخولهم تحت قوله: "وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" وعدم نيلهم عهد النبوة لقوله تعالى: "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" ونحو ذلك من لزوم كونهم حزب الشيطان وغير ذلك) ٢١٣.

- ثالثاً: دفع المثبتين لما يثار حول مذهبه من اعتراضات.

٢٠٧ سورة الحجرات الآية ١٣.

٢٠٨ سورة المجادلة الآية ١٩.

٢٠٩ سورة الأنبياء الآية ٩٠.

٢١٠ سورة ص الآية ٤٧.

٢١١ شرح المواقف ج ٣ ص ٤٢٥.

٢١٢ شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٥.

٢١٣ تحذیب المرام للسندي ص ٥٦ : ٥٧.

دفع المبتوتون لعصمة الأنبياء عليهم السلام كلام المنكرين بطريقتين: إجمالية، وتفصيلية، كما سبق وعرضنا عند الإمام السالمي الكيشي بإيجاز، والأُن نعرض بشيء من التفصيل.

أولاً: الطريقة الإجمالية

يوضح صاحب المواقف هذه الطريقة فيقول: (احتج المخالف بقصص الأنبياء توهم صدور الذنب عنهم والجواب إجمالاً: إن ما كان منها منقولاً بالأحاديث وجب ردها؛ لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء، وما ثبت منها تواتراً فما دام له حمل آخر حملناه عليه، ونصرفه عن ظاهره لدلائل العصمة، وما لم نجد له محيصاً حملناه على أنه كان قبل البعثة، أو من قبيل ترك الأولى، أو صغائر صدرت عنهم سهواً، ولا ينفيه تسميته ذنباً، ولا الاستغفار منه، ولا الاعتراف بكونه ظلماً منهم؛ إذ لعل ذلك لعظمه عندهم، أو إن قصدوا به هضمًا من أنفسهم، ومن جوز الصغائر عمداً فله زيادة فسحة)^{٢١٤}.

ويوضح الإمام السعد هذا الجواب الإجمالي حاصراً إياه في عدة احتمالات فيقول: (والجواب عنه إما إجمالاً: فهو أن ما نقل أحاديثاً مردوداً، وما نقل متواتراً، أو منصوصاً في الكتاب محمول على: السهو والنسيان، أو ترك الأولى، أو كونه قبل البعثة، أو غير ذلك)^{٢١٥}. ويقول الإمام السنندجي: (احتج المخالف بما نقل من ذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وأجيب عنه: أما إجمالاً: فما صح منه وهو ما نقل متواتراً، أو نص في كتاب الله فمحمول على: السهو، والنسيان، أو ترك الأولى، أو كونه قبل البعثة، وأما تفصيلاً: فمذكور في التفاسير والكتب المصنفة في ذا الباب)^{٢١٦}.

ثانياً: الطريقة التفصيلية

وفي هذه الطريقة قام المبتوتون بدفع ما أثاره المنكرون حول عصمة الأنبياء عليهم السلام من شبهات استوحوها من خيالهم المريض مستشعدين عليها بظواهر بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى أن الأنبياء عليهم السلام قد ارتكبوا الذنوب بشتى أنواعها حتى دفعهم جهلهم لفهم

^{٢١٤} شرح المواقف ج ٣/ ص ٤٢٥.

^{٢١٥} شرح المقاصد ج ٢/ ص ٤٣.

^{٢١٦} تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام/ للسنندجي ص ٥٦: ٥٧.

النصوص الواردة في هذا الشأن إلى أن يلصقوا تهمة الكفر ببعض الأنبياء وفق أصولهم التي انطلقوا منها.

فمثلا فرقتا الأزارقة والفضيلة من الخوارج: كفرت كل الأنبياء بموجب ظواهر بعض الآيات التي نسبت المعصية إليهم؛ لأن كل ذنب عندهم كفر، وأيضا بعض فرق الشيعة جوزت تستر الأنبياء تحت ستار الكفر فلهم أن يظهره وفق مذهبهم في التقية. لذا سوف نعرض تلك الشبهات والرد عليها من خلال المطلب الثاني والذي سوف نعرض فيه:

- ١- تصوير مذهب المنكرين لعصمة الأنبياء عليهم السلام.
- ٢- شبهاتهم التي استدلوا بها على مذهبهم.
- ٣- رد المثبتين على هؤلاء المانعين بالتفصيل. فنقول وبالله التوفيق.

- المطلب الثاني

المنكرون لعصمة الأنبياء عليهم السلام والرد عليهم

أولا: تصوير رأي المنكرين لعصمة الأنبياء عليهم السلام.

انكر فريق عصمة الأنبياء عليهم السلام، بحجة أن القرآن الكريم نسب لهم صراحة المعاصي والذنوب؛ لذا قالت فرقتا الأزارقة^{٢١٧} والفضيلة^{٢١٨} من الخوارج^{٢١٩} بعدم عصمتهم انطلاقا من أن كل الذنوب عندهم كفر، والأنبياء ارتكبوا الذنوب بنص القرآن فكفروهم، وبالتالي حكموا بعدم عصمتهم لتنافيهما، وكذا بعض المعتزلة^{٢٢٠} كفروهم؛ لأن مرتكب الكبيرة عندهم كافر، كما أجاز بعض المنكرين إظهار الكفر حفاظا على النفس كالشيعة^{٢٢١} حسب أصولهم في التقية، وعند

^{٢١٧} نسبة إلى راشد نافع بن الأزرق الحنفي. راجع مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري (٣٣٠ هـ) ج

١/ ص ١٦٨ / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ ط المكتبة العصرية بيروت ١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م.

^{٢١٨} أتباع فضل بن عبدالله. راجع المقالات ج ١ ص ١٩٧.

^{٢١٩} هم الذين خرجوا على علي بن رضوان الله عليه فتسبوا لها. راجع المقالات ج ١ ص ١٦٧.

^{٢٢٠} أتباع واصل بن عطاء. راجع المقالات ج ١ ص ٢٣٥.

^{٢٢١} وإنما قيل لهم شيعة لأنهم شابعوا عليا رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر الصحابة. راجع المقالات ج ١ ص

المرجئة^{٢٢٢} غير معصومين؛ لأن الإيمان عندهم معرفة، فالمؤمن عندهم هو العارف وإن كان تاركاً للعمل فاعلاً لكل المنهيات، وكذا الكرامية^{٢٢٣} أجازوا على الأنبياء فعل الكبائر من القتل والزنا وغير ذلك؛ لأن الإيمان عندهم اقرار باللسان دون التصديق بالقلب^{٢٢٤}، فهذا لازم لمذهب كل تلك الفرق^{٢٢٥}.

يصور الإمام البزدوي مذهب المانعين فيقول: (وعند بعض المعتزلة، وبعض الخوارج، هم غير معصومين عن الكبائر والصغائر، وهو قول بعض المرجئة أيضاً)^{٢٢٦}. ويقول الإمام السندي^{٢٢٧}: (وجوز الشيعة لهم إظهار الكفر تقية، واحترازاً عن إلقاء النفس في التهلكة، ورد بأن أولى الأوقات بالتقية ابتداء الدعوة)^{٢٢٨}. ثانياً: أدلة المنكرين لعصمة الأنبياء عليهم السلام.

تشبث أصحاب هذا الاتجاه بشبهات علقت بأذهانهم توهموها من ظواهر بعض الآيات التي تنسب الذنوب لهؤلاء الصفوة المختارة.

يقول الإمام سعد الدين التفتازاني: (احتج المخالف بما نقل من أقاصيص الأنبياء، وما شهد به كتاب الله من نسبة المعصية والذنب إليهم، ومن توبتهم واستغفارهم، وأمثال ذلك)^{٢٢٩}. وقد رد المشتبهون على المانعين إجمالاً كما سبق، وتفصيلاً: وذلك بعرض تلك الشبهات الواردة في حق الأنبياء عليهم السلام كالتالي:

- عرض الشبهة.

^{٢٢٢} يطلق في العربية على معنيين: التأخير، العطاء. راجع المقالات ج ١ ص ٢١٣.

^{٢٢٣} نسبة لمحمد بن كرام. راجع المقالات ج ١ ص ٢٢٣.

^{٢٢٤} راجع المقالات ج ١ ص ٢٣١.

^{٢٢٥} راجع الوصية للإمام أبي حنيفة ص ٧٦ ط تحقيق الشيخ الكوثري ط المكتبة الأزهرية عام ١٤٢١ هـ = ٢٠٢١ م. وأنظر آراء تلك الفرق في المقالات في الصفحات: ٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٥.

^{٢٢٦} أصول الدين للإمام البزدوي ص ١٦٧ ط تحقيق هـ هانز بيتر لنس/ ط الحلبي ١٣٨٣ هـ ط ١٩٦٣ م.

^{٢٢٧} للشيخ عبد القادر بن محمد سعيد بن أحمد السندي المتوفى ١٣٠٤ هـ = ١٨٨٧،

^{٢٢٨} تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام للسندي ص ٥٦.

^{٢٢٩} شرح المقاصد ج ٢/ ص ٤٣.

- وجه الاستدلال بها.
- دفع ومنع تلك الشبهة.

١- آدم عليه السلام.

ورد في حق آدم عليه السلام بعض الآيات التي تنسب إليه المعصية منها قوله تعالى:
"وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى"^{٢٣٠}.

ووجه استدلالهم بتلك الآية أنهم قالوا: توالى نعم الله على آدم عليه السلام: من اصطفاؤه، وخلقه بيديه، وتعليمه، واسبغاء ملائكته إليه، واسكانه جنته وإباحته لكل نعمها إلا شجرة نها عنها؛ فخالف ذلك عاصيا أمر ربه، فطرده من الجنة عقابا له، ثم تاب آدم فقبل الله توبته واجتباها؛ لأنه فعلها ناسيا وغير متعمد لها، سلمنا ذلك لكن الإشكال ما زال قائما، لماذا طرد آدم من الجنة؟ فطرده أكبر دليل على أنه فعل الذنب متعمدا، وتوبته لم تقبل، فأين التوبة المقبولة والاصطفاء والاجتباء مع طرده؟ وكيف برب كريم قبل توبة ثم يعاقب عليها؟ كمثل انسان عفا عنك ثم يقتص منك وحاشا وكلا أن يكون المولى كذلك، فطرده أثبت ذنبه فأين عصمته؟
ويصور الإمام الرازي وجه استدلالهم فيقول: (قصة آدم عليه السلام قد تمسكوا بها من وجوه ستة:

(الأول) أنه كان عاصيا والعاصي لا بد وأن يكون صاحب الكبيرة، وإنما قلنا: إنه كان عاصيا لقوله تعالى: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى" وإنما قلنا: إن العاصي صاحب الكبيرة لوجهين:
(أحدهما) أن النص يقتضي كونه متعاقبا وهو قوله تعالى: "وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا"^{٢٣١} ولا معنى لصاحب الكبيرة إلا من فعل فعلا يعاقب عليه.
(وثانيهما) أن العصيان اسم ذم فلا يطلق إلا على صاحب الكبيرة.

(الثاني) أنه تائب والتائب مذنب، وإنما قلنا: إنه تائب لقوله تعالى: "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى"^{٢٣٢} وقوله تعالى: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ"^{٢٣٣} وإنما قلنا: إن التائب مذنب؛

^{٢٣٠} سورة طه الآية ١٢١.

^{٢٣١} سورة النساء الآية ١٤.

^{٢٣٢} سورة طه الآية ١٢٢.

^{٢٣٣} سورة البقرة الآية ٣٧.

لأن التائب هو النادم على فعل الذنب، والنادم على فعل الذنب مخبر عن كونه فاعلا للذنب، فإن كذب في ذلك الاخبار فهو مذنب بفعل الكذب، وإن صدق فيه فهو المطلوب.

(الثالث) أنه ارتكب المنهى عنه، لقوله تعالى: "أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ" ^{٢٣٤} وقوله تعالى: "وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ" ^{٢٣٥} وارتكاب المنهى عنه عين الذنب.

(الرابع) أنه تعالى سماه ظلما في قوله: "فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ" ^{٢٣٦}، وهو أيضا سمي نفسه ظلما في قوله: "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا" ^{٢٣٧} والظالم ملعون لقوله تعالى: "أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" ^{٢٣٨} ومن كان كذلك كان صاحب كبيرة.

(الخامس) أنه اعترف بأنه لولا مغفرة الله تعالى له لكان خاسرا في قوله تعالى: "وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ" ^{٢٣٩} وذلك يقتضي كونه صاحب كبيرة.

(السادس) أنه أخرج من الجنة بسبب وسوسة الشيطان، وإزالته جزاء على ما أقدم عليه من طاعة الشيطان، وذلك يدل على كونه صاحب كبيرة.

ثم قالوا: إن كل واحدة من هذه الوجوه لا يدل على كونه فاعل كبيرة، ولكن مجموعها قاطع في الدلالة عليه، ويجوز أن يكون كل واحد من الوجوه وإن لم يكن دالا على الشيء إلا أنها عند الاجتماع تصير دالة كما قلنا في القرائن ^{٢٤٠}.

وقد أحاب المبتون: بأن ما صدر منه كان قبل نبوته، وفعله ناسيا، والناسي لا شيء عليه هذا إجمالا، وأما تفصيلا فيوضحه الإمام الرازي فيقول: (والجواب عن الكل عندنا: أن ذلك كان قبل النبوة، فلا يكون واردا علينا، فأما الذين لم يجوزوا صدور المعصية عن الأنبياء قبل النبوة، فقد أجابوا عن كل واحدة من هذه الوجوه.

^{٢٣٤} سورة الأعراف الآية ٢٢.

^{٢٣٥} سورة الأعراف الآية ٣٥.

^{٢٣٦} سورة البقرة الآية ٣٥.

^{٢٣٧} سورة الأعراف الآية ٢٣.

^{٢٣٨} سورة هود ١٨.

^{٢٣٩} سورة الأعراف الآية ٢٣.

^{٢٤٠} عصمة الأنبياء ص ٣٦.

(أما الأول) فقالوا: المعصية مخالفة الأمر، فالأمر قد يكون بالواجب والندب، وإن كان كذلك لم يمتنع أن يكون إطلاق اسم العصيان على آدم، لا لكونه تاركا للواجب، بل للمندوب. (وأما الثاني) وهو أنه تائب، فقد أجاب من جَوَز الصغيرة بأن التوبة تجب من الصغائر كما تجب من الكبائر، فإن الصغيرة إذ لم يتب منها صاحبها صار مصرا عليها، والإصرار على أي ذنب كان كبيرة وأما من لم يجوز الصغيرة فقد أجاب بأن التوبة قد تحسن ممن لم يذنب قط على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والرجوع إليه.

(وأما الثالث) فهو ارتكاب المنهي، فالجواب أنا نقول: لا نسلم أن النهي للتحريم فقط، بل هو مشترك بين التحريم والتنزيه، وتفسيره أن النهي يفيد أن جانب الترك راجح على جانب الفعل، سلمنا أن النهي للتحريم لكنه ارتكبه ناسيا لقوله تعالى: "فَنَسِيَ وَلمَّ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا"^{٢٤١} وحينئذ لم يكن ذنبا؛ لأن التكليف مرتفع عن الناسي، ولقائل أن يقول: لا نسلم أنه ارتكبه ناسيا، والدليل عليه قوله تعالى: "لما نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ"^{٢٤٢}، وقوله: "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ"^{٢٤٣} وكل ذلك يدل على أنه ما نسي النهي حال الإقدام على ذلك الفعل، وأيضا فلأنه لو كان ناسيا لما عوتب على ذلك الفعل، ولما سمي بالعاصي، فحيث عوتب عليه دل على أنه ما كان ناسيا، وأما قوله تعالى: "فَنَسِيَ" ففيه إثبات أنه نسي، وليس فيه أنه ما نسي، سلمنا أنه لم يكن ناسيا ولكنه أخطأ في الاجتهاد؛ وذلك لأن كلمة "هَذِهِ" في قوله: "ولاً تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ" قد يراد بها الإشارة إلى الشخص، وقد يراد بها الإشارة إلى النوع، فأدم عليه الصلاة والسلام اشتباه الأمر عليه فظن أن المراد هو الشخص فعدل عنه إلى شخص آخر، إلا أن المجتهد إذا أخطأ في الفروع لم يكن صاحب كبيرة.

(وأما الرابع) وهو أن الله تعالى سماه ظلما، فقد أجاب عنه من يجوز الصغيرة بأن كل ذنب يأتي به المكلف كبيرا كان أو صغيرا فهو ظالم لنفسه، وأما من لم يجوزها فأجاب بأن ترك الأولى ظلم، لأنه لما كان متمكنا من فعل الأولى حتى يستحق به الثواب العظيم فلما تركه من غير

^{٢٤١} سورة طه ١١٥.

^{٢٤٢} سورة الأعراف ٢٢.

^{٢٤٣} سورة الأعراف الآية ٢١.

موجب فقد ترك حظ نفسه، ومثل هذا يجوز أن يسمى ظلما لنفسه، لأن حقيقة الظلم وضع الشيء في غير موضعه وهاهنا كذلك.

(وأما الخامس) فالجواب عنه: أنه محمول على الصغيرة، أو على ترك الأولى، وتقديره ما تقدم.

(وأما السادس) فجوابه: أنه ليس في الآية إلا أنه أخرج من اللجنة عند إقدامه على هذا الفعل، أو لأجل إقدامه على هذا الفعل، وذلك لا يدل على أن ذلك الإخراج كان على سبيل التنكيل والاستخفاف، وكيف والله تعالى إنما خلق آدم ليكون خليفة في الأرض؟ فلما كان المقصود الأصلي من خلقه ذلك؛ فكيف يقال: إنه وقع ذلك عقوبة واستخفافا، الذي يدل على أنه لا بد من المصير إلى الوجوه التي ذكرناها هو أنه عليه الصلاة والسلام لو كان عاصيا في الحقيقة وكان ظلما في الحقيقة لوجب الحكم عليه بأنه كان مستحقا للنار، لقوله تعالى: "وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ"، وبأنه كان ملعونا لقوله تعالى: "أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" فلما اجتمعت الأمة على أن ذلك لا يجوز علمنا قطعاً أنه لا بد من التأويل^{٢٤٤}.

ويؤكد الإمام سعد الدين التفتازاني ذلك فيقول: (أما في قصة آدم عليه السلام ما ورد في التنزيل من أنه: عصى، وغوى، وأزله الشيطان، وخالف النهي عن أكل الشجرة، واعترف بظلمه نفسه، وعتب: قولا وفعلا، بقوله تعالى: "أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تَلْكُمَا الشَّجَرَةَ" وبنزع اللباس، والإخراج من الجنة، ثم تاب الله تعالى عليه واجتباها.

والجواب: أنه كان قبل البعثة، كيف ولم تكن له في اللجنة أمة، وكان عن نسيان؛ لقوله تعالى: "فَنَسِيَ وَلمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً" أو كان زلة وسهوا؛ حيث ظن أن المنهي شجرة بعينها وقد قرب فردا آخر من جنسها، وإنما عوتب لترك التيقظ والتنبيه لإصابة المراد، وقد يعتذر بأنه وإن كان عمدا لكن لم يكن إلا صغيرة وهذا هو الظاهر^{٢٤٥}.

وأرجع الإمام الإيجي سبب تمسك المانع بتلك الآية عدم فهمهم لمعاني القرآن الكريم وجهلهم؛ لأنه لو صح كلامهم لترتب عليه طردهما من رحمته لا اجتباؤهما فيقول: (قصة آدم عليه

^{٢٤٤} عصمة الأنبياء ص ٣٧.

^{٢٤٥} شرح المقاصد ج ٢ ص ٤٣.

السلام وتفيهقوا في التمسك بها من ستة أوجه: الأول قوله تعالى "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ" مؤكدا بقوله فعوى، الثاني قوله تعالى: "فَتَابَ عَلَيْهِ" ولن تكون التوبة إلا عن الذنب، الثالث مخالفته النهي عن أكل الشجرة، الرابع قوله تعالى: "فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"، الخامس قوله تعالى: "رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ" السادس قوله: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ".

قلنا: كيف يدعي أنه في الجنة، ولا أمة له كان نبيا، وهل كان الاجتهاد بالنبوة إلا بعد تلك القصة؟ وهل الواقعة في الأنبياء يمثل هذا الظاهر دفعه إلا للعمه والجهل المفرط^{٢٤٦}.

ومن الآيات التي استدلوا أيضا به للطعن في عصمة آدم قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ"^{٢٤٧}.

ووجه استدلالهم بهذه الآية يكمن في: قوله تعالى: "نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" كناية عن آدم، وفي قوله تعالى: "زَوْجَهَا" كناية عن حواء، وفي قوله تعالى: "شُرَكَاءَ" كناية عن إبليس، وفي قوله تعالى: "آتَاهُمَا" كناية عن الولد، ونسجوا من خلال ذلك قصة فحواها: أن آدم عندما غشي حواء، فحملت، ووضعت، فأرادا تسميته فأشار عليهما إبليس بأن يسمياه عبد الحارث، وكان إبليس اسمه الحارث، فأشركا مع الله غيره، فكيف يليق بنبي معصوم أن يشرك بالله تعالى؟

وقد رد عليهم المثبتون: أنا لا نسلم أن النفس الواحدة في هذه الآية هي آدم عليه السلام، وليس في الآية ما يدل على ذلك، بل نقول: الخطاب لقريش وهو آل قصي، والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عريية قرشية ليسكن إليها، فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح السمي سميا أولادها الأربعة: بعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي، وعبد الدار، والضمير في "يُشْرِكُونَ" لهما ولأعقابهما وأما الرواية التي ذكروها فهي ضعيفة لوجوه ثلاثة: (الأول) أنها من باب الأحاد فلا يكون مقبولا في العلميات.

^{٢٤٦} شرح المواضع ج ٣ ص ٤٢٥.

^{٢٤٧} سورة الأعراف الآيتان ١٨٩: ١٩٠.

(الثاني) أنه إما أن يقال: بأن آدم وحواء اعتقدا أن الولد من خلق إبليس، أو لم يعتقدوا ذلك، فإن كان الأول لزم أن يكون آدم وحواء قد اعتقدا ألوهية إبليس وذلك مما لا يذهب إليه عاقل، وإن كان الثاني لم يلزم منه الكفر والشرك، لأن الاعلام تفيد تسمية الولد بعبد الحارث، لا تفيد كونه عبد الحارث، فإن الأعلام قائمة مقام الإشارة فقط ولا يلزم منه الكفر والفسق أصلا.

(الثالث) أن العداوة الشديدة التي كانت من آدم وإبليس من أول الأمر إلى وقت ذلك الحمل مانعة لآدم من الاعتزاز به، هب أن آدم لم يكن نبيا ولم يكن مسلما، أما كان عاقلا؟ فصحح أن هذه الرواية الخبيثة لا يجوز أن يقبلها عاقل فضلا عن مسلم^{٢٤٨}.

ويصور صاحب المقاصد ما ورد في حق آدم من شبهة ورد فيقول: (أما في قصة آدم عليه السلام: قوله تعالى "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا" إلى قوله: "جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا" ولم يقل أحد في حق الأنبياء بالشرك في الألوهية ولو قبل البعثة.

فالوجه أنه على حذف المضاف، أي جعل أولادهما له شركاء، بدليل قوله تعالى: "فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ"، أو المراد ما وقع له من الميل إلى طاعة الشيطان وقبول وسوسته، أو الخطاب لقريش والنفس الواحدة قصي، ومعنى جعل منها زوجها جعلها من جنسها عربية قرشية، وإشراكهما فيما آتاهما الله تسمية أولادهما: بعبد مناف، وعبد العزى، وعبد الدار، ونحو ذلك^{٢٤٩}.

ويؤكد الإمام الإيجي نفس المعنى فيقول: (وقد يتمسك في ذنبه بقوله تعالى: "وَالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا" الآية. والجواب: أن أكثر المفسرين على أن الخطاب لقريش، والنفس الواحدة قصي، وجعل منها زوجها أي جعلها عربية من جنسه، وإشراكهما تسميتهما أبناءهما: بعبد مناف، وعبد العزى، وعبد الدار، وعبد قصي، فليس الضمير في جعل لآدم وحواء، وإن صح إنه لآدم فأين الدليل على الشرك في الألوهية، ولعله هو الميل إلى طاعة الشيطان وقبول وسوسته مع الرجوع عنه إلى الله تعالى وذلك غير داخل تحت الاختيار، أو لعله قبل النبوة^{٢٥٠}.

^{٢٤٨} عصمة الأنبياء ٤٢.

^{٢٤٩} شرح المقاصد ج ٢/ ص ٤٣.

^{٢٥٠} شرح المواقف ج ٣ ص ٤٢٥.

٢- نوح عليه السلام.

ورد في حق نوح عليه السلام بعض الآيات تنسب إليه الذنب منها قوله تعالى: "وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" ^{٢٥١}.

تمسك منكرو العصمة بهذه الآيات من عدة وجوه فقالوا أنها تضمنت: ادعاء هو: "رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي" فكذبه ربه قائلاً: "يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" وسؤال: "وَأِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ" بنجاة جميع آل نوح فقال له ربه: "فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" معللاً ربه ذلك: "إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ" عند ذلك اعتذر نوح قائلاً: "رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ".

إذا نوح عليه السلام صدر منه: ادعاء: كاذب فيه والكذب معصية، وسؤال: لنجاة كافر وهو باطل لأنها للمؤمنين فقط، واعتذار: يؤكد كل ذلك في حقه، ولو كان معصوما ما صدر منه كل ذلك.

وقد صور المثبتون تلك الشبهة وردوا عليها بقولهم: (وأما الشبهة في حق نوح عليه السلام فهو أن قوله تعالى: "يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" تكذيب له في قوله: إن ابني من أهلي. والجواب أنه ليس للتكذيب بل للتنبية، على أن المراد بالأهل في الوعد هو الأهل الصالح، أو المعنى أنه ليس من أهل دينك، أو أنه أجنبي منك وإن أضفته إلى نفسك بأبنائك؛ لما روي من أنه كان ابن امرأته والأجنبي إنما يعد من آل النبي إذا كان له عمل صالح) ^{٢٥٢}.

٣- إبراهيم عليه السلام.

جاء في القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام وقع في الكذب في قوله تعالى: "هَذَا رَبِّي" ^{٢٥٣}، و: "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ" ^{٢٥٤}، و "إِنِّي سَقِيمٌ" ^{٢٥٥}، فكيف يصدر منه الكذب، وهو نبي معصوم.

^{٢٥١} سورة هود الآيات ٤٥: ٤٧.

^{٢٥٢} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٤ وانظر عصمة الأنبياء ص ٤٥.

^{٢٥٣} سورة الأنعام الآية ٧٧ ٧٨

^{٢٥٤} سورة الأنبياء الآية ٦٣.

قلنا: والجواب إجمالاً إنه كان قبل نبوته وبعثته، وإذا كان كذلك فلا شيء عليه، وأما تفصيلاً: فالجواب عن الأول: وهو قوله: "هَذَا رَبِّي" إما على سبيل الغرض والتقدير حيث كانت مناظرة علمية بينه وبين عباد الكواكب والنجوم فافترض صحة قولهم مجازة لهم حتى يبطله، وهذا جائز في مقام النظر والاستدلال، وإما على سبيل الاستفهام (أهذا ربي)، وإما على سبيل السخرية والاستهزاء (أيكون هذا ربي)، وأما الثاني في قوله: "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ" كان على سبيل التعريض والاستهزاء تنبيهاً لهم، وأما الثالث في قوله: "إِنِّي سَقِيمٌ" ففيها وجهان: إنه كان على سبيل الحقيقة حيث كان مريضاً بالحمى، أو على سبيل المجاز إنه مريض بالهم والحزن من شدة عنادهم وكفرهم. ويصور صاحب المقاصد هذا فيقول: (وأما بالشبهة في حق إبراهيم عليه السلام، فهو أنه كذب في قوله تعالى: "هَذَا رَبِّي" و"بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ" و"إِنِّي سَقِيمٌ".

والجواب: أن الأول على سبيل الغرض والتقدير كما يوضع الحكم الذي يراد إبطاله، أو على الاستفهام، أو على أنه كان في مقام النظر والاستدلال، وذلك قبل البعثة، والثاني على التعريض والاستهزاء، والثالث على أن به مرض الهم والحزن من عنادهم، أو الحمى على ما قيل^{٢٥٦}.

وأيضاً من الآيات التي استدلوها بما منكروا العصمة قوله تعالى: "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى"^{٢٥٧} فالآية تصرح بأن إبراهيم كان شاكاً في قدرته تعالى، ولو كان موقناً بقدرة الله تعالى ما سأل هذا السؤال.

يقول صاحب المواقف: (قوله: "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى" والشك في قدرة الله كفر، وفي الآية تصريح بأنه طلبه؛ لأن في عين اليقين من الطمأنينة ما ليس في علم اليقين، فإن للوهم بإحداث الوسواس، والدغادغ سلطاناً على القلب عند علم اليقين دون عين اليقين، هذا وقد قال

^{٢٥٥} سورة الصفات الآية ٨٩.

^{٢٥٦} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٤. أنظر تفسير الرازي ج ١٩/ ص ١٣٥، وعصمة الأنبياء ص ٤٩ ٧١.

^{٢٥٧} سورة البقرة الآية ٢٦٠.

ابن عباس (٣ ق هـ = ٦٨٧م) ^{٢٥٨}: كان الله وعد أن يبعث نبيا يحيي بدعائه الموتى فأراد أن يعلم أهو هو، كيف والشك في قدرة الله تعالى كفر وأنتم لا تقولون به) ^{٢٥٩}.

٤- يوسف عليه السلام.

تمسك منكمرو العصمة بما ورد في قصة يوسف عليه السلام من جهات ثلاث:

الأولي: من جهة يعقوب عليه السلام.

نسب منكمرو عصمة الأنبياء لنيي الله يعقوب عدم عدلته في حبه لأولاده؛ مما نتج عنه تدبير جريمة قتل لأحد تلك الأنبياء على يد أخوته هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما حدث ليوسف على يد أخوته، هل كان يعلمه يعقوب باعتباره نبي يوحى إليه أم لا؟ فإن كان لا يعلمه فيكيف يكون نبيا يوحى إليه؟ وإن كان يعلمه فلم هذا الحزن والشكوى التي بسببها ابيضت عيناه، أكان اعتراضا على قدر الله تعالى أم ماذا؟ علاوة على إعراضه عن أولاده عقابا لهم على فعلتهم.

قلنا: الميل القلبي سواء أكان حبا أو حزنا أو بكاء كلها عواطف لا شعورية لا سلطان للإنسان عليها، لأنها غير مملوكة له وبالتالي لا ذنب عليه ^{٢٦٠} وأما شكواه فمع تيقنه أن ما حدث ليوسف من إخوته هو أمر قدره لكن لحرصه وخوفه من موت يوسف على غير ملة الإسلام كان سبب شكواه وحزنه ^{٢٦١}، وأما إعراضه عن أولاده لقطع ظنهم أنه أقرهم على ما صنعوه، بدليل أنه صفح عنهم بمجرد إقرارهم بخطئهم مستغفرا الله لهم.

وفي ذلك يقول صاحب المقاصد: (وأما الشبهة في قصة يوسف من جهة يعقوب عليهما السلام: الإفراط في المحبة والحزن والبكاء، والجواب أنه لا معصية في ميل النفس سيما إلى من يلوح عيه آثار الخير والصلاح وأنواع الكمال، ولا في بث الشكوى والحزن إلى الله تعالى في مصائب يكون من جهة العباد سيما إن قيل: إنه كان من خوف أن يموت يوسف عليه السلام على غير دين الإسلام) ^{٢٦٢}.

^{٢٥٨} عبدالله بن عباس بن عبد المطلب الصحابي الجليل (٣ ق هـ = ٦٨٨م) راجع الأعلام ج ٤ ص ٩٥

^{٢٥٩} شرح المواقف ج ٣ ص ٤٢٥.

^{٢٦٠} ألم يقل نبيا ما معناه: اللهم هذا قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك فهل كان هذا ظلما؟

^{٢٦١} ولم لا ألم تدمع عين نبيتا على فراق ابنه إبراهيم فهل كان هذا جزعا وشكوى من قدر الله؟

^{٢٦٢} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٤.

الثانية: من جهة أخوته عليهم السلام.

يقول منكروا العصمة كيف تقولون: إن الأنبياء معصومون وأخوة يوسف تعمدوا قتل أخيهم وهم أنبياء؟

ويصور الإمام تلك الشبهة والرد عليه فيقول: (كيف يليق هذا بهم وهم أنبياء؟ قلنا: الجواب الصحيح أن يقال: أنهم ما كانوا أنبياء، وإن كانوا أنبياء إلا أن هذه الواقعة إنما اقدموا عليها قبل النبوة)^{٢٦٣}.

ونفي صاحب المقاصد كونهم أنبياء وعليه فلا إشكال في عصمتهم فيقول: (ومن جهة الإخوة ما فعلوا بيوسف وما قالوا من الكذب، والجواب: أنهم لم يكونوا أنبياء)^{٢٦٤}.
والإمام البزدوي كان له تفصيل في ذلك فعلى اعتبار أنهم ليسوا بأنبياء فلا إشكال أصلا، وعلى اعتبار كونهم أنبياء فدونهم قبل النبوة لا بعدها فيقول: (وكذا ذنوب إخوة يوسف كانت قبل النبوة، ولو كانوا أنبياء فإن فيه كلاما كثيرا وبعضهم قالوا: كانوا أنبياء، وبعضهم قالوا: لم يكونوا)^{٢٦٥}.

الثالثة: من جهة يوسف عليه السلام.

ورد في حقه عليه السلام بعض الشبهات التي تمسك بها منكروا عصمة الأنبياء منها: همه بامرأة العزيز، واتهامه لأخوته بالسرقة، وجعله السقاية في رحل أخيه، وعقوقه لأبيه بعدم اخباره عن مكانه كل تلك الفترة، ورضاه بسجود أبيه وإخوته إليه.

قلنا: أما بالنسبة لهمه عليه السلام بامرأة العزيز فهناك ردود كثيرة على ذلك مجملها:

١- الزنا من منكرات الكبائر، ويكون أشد فحشا عندما يكون في معرض الأمانة، فالبشري

العادي يتنزه عنه، فكيف ينسب لني كريم مثل يوسف؟

٢- كل من كان له علاقة بتلك الواقعة شهد ببراءة يوسف عليه السلام:

^{٢٦٣} تفسير الرازي ج ٩ ص ٩٧.

^{٢٦٤} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٤.

^{٢٦٥} أصول الدين ص ١٦٩.

- رب العالمين: فقد شهد ببراءته في قوله تعالى: "كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ"^{٢٦٦} بموجب تلك الآية، فماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد ببراءته مع كونه أتيا بالذنب؟
 - يوسف عليه السلام: فقد شهد ببراءته من تلك الجريمة حين: "قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي"^{٢٦٧} فهذا تصريح منه بما حدث ولو كان خائنا ما صرح.
 - امرأة العزيز شهدت ببراءته بقولها: "قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ"^{٢٦٨}
 - زوجها أقر بذلك في قوله: "يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ"^{٢٦٩}.
- الشهود
- الشاهد من أهلها فقد صرح ببراءته بقوله: "وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"^{٢٧٠}.
 - شهادة النسوة التي أحضرتهم زوجة العزيز: "قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ"^{٢٧١}.
 - إبليس أقر بطهارته حيث: "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"^{٢٧٢} فاقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ويوسف بشهادة رب العالمين منهم بدليل قوله تعالى: "إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ"^{٢٧٣}.

٢٦٦ سورة يوسف الآية ٢٤.

٢٦٧ سورة يوسف الآية ٢٦.

٢٦٨ سورة يوسف الآية ٥١.

٢٦٩ سورة يوسف الآية ٢٩.

٢٧٠ سورة يوسف الآية ٢٦: ٢٨.

٢٧١ سورة يوسف الآية ٣٢.

٢٧٢ سورة ص الآية ٧٩.

٣- مدح الله يوسف عليه السلام بأنه من المحسنين في أكثر من آية في سورة يوسف^{٢٧٤} والمحسن: هو الذي يعبد الله كأنه يراه، فيوسف عليه السلام دائما مع الله مشاهدا له مراقبا إياه؛ لذا يقول الحق: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" يعني لو لم يكن مشاهدا لله دائما ومراقبا له في عبوديته لهم بما.

٤- هل ثبت ليوسف عليه السلام توبة واستغفار من همه بامرأة العزيز إن كان أين هو؟ وإن لم يكن فهل يليق بنبي أن يعصي ولا يتوب، وإن كان ترك فكيف ترك ربه؟ وإن لم يكن له ذنب أصلا فكيف تنسبون له ذنبا لم يفعله؟ أنتم أعلم به من ربه؟

٥- ما معنى الهم ولم فسرتموه بالهم إليها وليس منها، ويؤكد أثر الهم أنه منها وليس إليها، فلو كان إليها لكان من الأمام، لكنه كان من الخلف بشهادة الشهود فكان منها، فهي تم حسب نيتها وهو حسب نيته، ومع تسليمنا بأنه بطريق الحقيقة وهل يؤاخذ الإنسان بجمه أم بفعله؟ فمن هم بمعصية ولم يفعلها كتبت له حسنة، فهمه عليه السلام إثابة وليس إساءة، علاوة على أنه كان قبل نبوته وبالتالي فلا شيء عليه^{٢٧٥}.

٦- إن كان يوسف هم للمعصية كما فهمتم، فما المانع من فعلها وكل أسبابها متوفرة ومهيأة؟

فمن جهة المرأة فقد طلبت بنفسها، وزينت نفسها في أبحى صورة، وغلقت الأبواب، ومن جهته عليه السلام شاب جميل قوي، فما المانع أن تحدث تلك الجريمة في هدوء، لولا أنه عليه السلام هم للخروج من هذا المكان وهي تمنعه فحذبتة من الخلف فقدت قميصه الذي كان سببا في براءته، ومن بين همها وهمه المختلفان تولدت حركة جعلت زوجها يتجه نحو هذه الحركة ليعرف مصدرها لذا: "اسْتَبَقَا الْبَابَ"^{٢٧٦} ولو اتفق الهمان ما كانت حركة ولا صوت ولا كشف أمرهما.

^{٢٧٣} والفرق بين المخلصين بفتح اللام وكسرهما أن الأولى هم الذين خلصهم الله من الذنوب بحفظهم عنها، أما الثانية فهم الذين خلصوا أنفسهم باجتهدهم لأن الأول قدوة ومثال لغيره أما الثاني فليس كذلك.

^{٢٧٤} الآيات هي: ٢٢، ٣٦، ٥٦، ٧٨، ٩٠.

^{٢٧٥} راجع تفسير الرازي ج ٩ ص ١٢١.

^{٢٧٦} سورة يوسف الآية ٢٥.

٧- في نهاية القصة ظهرت الفروق النفسية التي تبرئ يوسف وتثبت إدانة امرأة العزيز، فالمولى عز وجل أثبت قولين: الأول للمرأة وهو "قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا" فلم تصرح بالواقعة فهي مضطربة لأنها كاذبة، والثاني ليوسف عليه السلام "قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي" قول صريح يدل على صدقه وثباته والخائن والكاذب لا يصرح لأن الله يقول: "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ" ^{٢٧٧}، كذلك مظهر المرأة مخالف تماما لمظهر يوسف عليه السلام فالمرأة في غاية التزين ويوسف في ثوب الخدمة لذلك يقول الحق: "وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ" ^{٢٧٨} يصدق ذلك قوله تعالى: "وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَالْعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ" ^{٢٧٩}.

فبعد كل هذه البراهين لا يليق بأحد أن يتوقف في تلك الشبهة، لأنه يكون بين أحد احتمالين:

الأول: إن كان من أتباع دين الله فليقبل شهادة الله على براءته وطهارته عليه السلام، فيترك بذلك مذهبه وهو المطلوب.

الثاني: إن كان من أتباع إبليس وحنوده فليقبل شهادة إبليس على براءته، ومن لم يقبلهما، فيكون أشد جرما من إبليس وحنوده ^{٢٨٠}.

ويشير الإمام البرزوي إلى ذلك فيقول: (هم يوسف عليه السلام علقه الله تعالى بعدم رؤيته البرهان فإنه قال: "وَهُمْ يَحْمِلُونَ لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ" ^{٢٨١} أي لو لم ير برهان ربه، ولكن رآه، ولم يهيم، وكذا هم يوسف عليه السلام، وكذا ذنوب إخوة يوسف كانت قبل النبوة) ^{٢٨٢}.
هذا بالنسبة لهم يوسف عليه السلام بامرأة العزيز، وأما بالنسبة لآخوته بالسرقه، وجعله السقاية في رحل أخيه، ورضاه بسجود أبيه وإخوته له.

^{٢٧٧} سورة محمد الآية ٣٠.

^{٢٧٨} سورة يوسف الآية ٢٣.

^{٢٧٩} سورة محمد الآية ٣١.

^{٢٨٠} راجع تفسير الرازي مفاتيح الغيب ج ٩ / ١٢٦.

^{٢٨١} سورة يوسف الآية ٢٤.

^{٢٨٢} أصول الدين للبرزوي ص ١٦٩.

فيحيب عن كل ذلك الإمام سعد الدين التفتازاني فيقول: (ومن جهة يوسف: الهم المشار إليه بقوله تعالى: "وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ لَوَلَّىٰ سَوِيًّا" ^{٢٨٣} "جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ" ^{٢٨٤} والرضاء بسجود إخوته وأبويه له.

والجواب أن ذلك قبل البعثة، أو المراد وهم بما لولا أن رأى برهان ربه على أن يكون الجواب المحذوف ما دل عليه الكلام السابق، ويكون التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لخاطها، أو المراد الميلاق المذكور في الطبيعة البشرية لا الهم بالمعصية والقصد إليها، أو هو من باب المشاركة أي شارف أن يهيم بها وبالجملة: فلا دلالة ههنا على العزم والقصد إلى المعصية فضلا عما يذكره الحشوية من الحشويات؛ ولهذا ورد في هذا المقام من الثناء على يوسف ما ورد من غير أن تقع عليه زلة، أو يذكر له استغفار وتوبة.

وأما جعل السقاية في رحل أخيه، فقد كان بإذنه ورضاه بل بإذن الله تعالى، ونسبة السرقة إلى الإخوة تورية عما كانوا فعلوا يوسف مما يجري مجرى السرقة، أو هو قول المؤذن، والسجدة كانت عندهم تحية وتكرمة كالقيام والمصافحة، أو كانت مجرد انحناء وتواضع لا وضع جبهة) ^{٢٨٥}.

وأما بالنسبة لعقوبه لأبيه بعدم اخباره عن مكانه كل تلك الفترة، فلو كانت هناك عصمة لمنعته من ذلك.

قلنا: فليس هناك عقوق؛ لأن الله تعالى لم يأذن له في الأخبار، فالنبي لا يتصرف من تلقاء نفسه بل كل تحركاته وكلماته بوحى من الله مصداقا لقوله: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" ^{٢٨٦}، لذلك تكون كل شئون النبي وحيا يعمل به لا يجوز مخالفته، وبعد أن آذن له الله تعالى بذلك لم يتوان لحظة في إخباره، ودليله إنه بعد رؤيته لأخوته "قَالَ اثْنَيْنِ أَخِيكَ لَكَ مِنْ أَبِيكَ" بل هددهم قائلا: "فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ"، فكانت إشارة منه لأبيه ليعلمه مكانه، ففهم النبي يعقوب تلك الإشارة، فارسل إليه بأخري: "قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابِ

^{٢٨٣} سورة يوسف الآية ٢٤.

^{٢٨٤} سورة يوسف الآية ٧١.

^{٢٨٥} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٤.

^{٢٨٦} سورة النجم الآية ٣: ٤.

وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ"، فلو كان دخولهم متفرقين لمنع الحسد كما يقال، فلماذا لم يأمرهم بهذا في المرة الأولى؟ فكانت إشارة يعقوب "حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا" دليل على فهمه، وأيضا فرصة ليوسف ليتحدث مع شقيقه بنيامين؛ لذا "لَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"^{٢٨٧} فاين العقوق وكلاهما نبي لا يتحركا إلا على متن الهدى وبإذن من الله.

٥- موسى عليه السلام.

قتل موسى عليه السلام للقبطي من أكبر الشبه التي تمسك بها منكروا عصمة الأنبياء، فكيف لنبي كريم يرتكب ما يتنزه عنه من ليس له عصمة؟

قلنا: هذا قتل بطريق الخطأ، فالوكر غير مفض للقتل "فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ"^{٢٨٨} علاوة على أنه كان لدفع الظلم وهو مباح للبشر، فما بالك بالأنبياء المطالبين بالدفع عن المظلومين وذلك واجب عليهم بإذن من الله، بدليل أنه لم يتب منه إلى الله في قوله: "وَهُمْ عَلَيَّ ذُنُوبٌ"^{٢٨٩} ولو كان بغير إذن لقال: ولك "عَلَيَّ ذُنُوبٌ"، لذا لم يعاقبه بل لم يعاتبه ربه على ذلك، وبرغم أن الفعل: "مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ"^{٢٩٠} إلا أنه اعتذر منه أدبا بقوله: "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ"^{٢٩١} فقال له ربه: "يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ"^{٢٩٢} فهل يقبل رب عادل أن يصطفي نبياً فعل مثل هذا الفعل، ويجري معه مثل هذا الحوار الهادئ؟ فهذا أكبر دليل على براءة ساحته عليه السلام من تلك الجريمة الشنعاء.

٢٨٧ سورة يوسف الآية ٦٩.

٢٨٨ سورة القصص الآية ١٥.

٢٨٩ سورة الشعراء الآية ١٤.

٢٩٠ سورة القصص الآية ١٥.

٢٩١ سورة القصص الآية ١٦.

٢٩٢ سورة النمل الآية ١٠ : ١١.

وفي ذلك يقول الإمام البزدوي: (وكذا ذنب موسى صلوات الله عليه: وهو قتل القبطي كان خطأ، فإنه عليه السلام وكزه دفعا للظلم وأدى إلى القتل، والضرب لدفع الظلم مباح بل هو واجب فوقه عنده أنه يباح له ذلك، وما كان مباحا بغير الإذن من الله تعالى)^{٢٩٣}.

ويصور الإمام سعد الدين التفتازاني تلك الشبهة وغيرها من شبهات بطريق الإجمال فيقول: (وأما في قصة موسى: فقتل القبطي، وتوبته عنه، واعترافه لكونه من عمل الشيطان، فمحمول على أنه كان خطأ، وقبل البعثة، وإذنه للسحرة في إظهار السحر بقوله: "الْقَوْمَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ"^{٢٩٤} ليس رضاء به، بل الغرض إظهار إبطاله، أو إظهار معجزته ولا يتم إلا به، وقيل: لم يكن حراما حينئذ، وإلقاء الألواح كان عن دهشة وتحير لشدة غضبه، والأخذ برأس هارون وجره إليه، لم يكن على سبيل الإيذاء، بل كان يذنيه إلى نفسه ليتفحص منه حقيقة الحال، فخاف هارون أن يحمله بنوا إسرائيل على الإيذاء ويفضي إلى شتمه الأعداء فلم يثبت بذلك ذنب له ولا لهارون، فإنه كان ينهاهم عن عبادة العجل، وقوله للخضر: "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا"^{٢٩٥} أي عجا وما فعله الخضر كان بإذن الله تعالى)^{٢٩٦}.

ويشير لنفس المعنى صاحب المواقف فيقول: (ومنه قصة موسى عليه السلام والتمسك بها من وجوه: الأول قوله: "فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ" ولم يكن قتله بحق لقوله: "هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ" وقوله: "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي" وقوله: "فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ"^{٢٩٧}.

الجواب إنه كان قبل النبوة، الثاني أنه أذن لهم في إظهار السحر لقوله: "الْقَوْمَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ" الجواب أنه لم يكن حراما حينئذ، أو علم أنهم يلقون أذن لهم أم لا بدليل: "مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ" أو أراد إظهار معجزته ولا يتم إلا بذلك فكان واجبا، أو أراد إن كنتم محقين نحو: "فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ" إلى قوله "إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"^{٢٩٨} الثالث: "وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ"^{٢٩٩}

^{٢٩٣} أصول الدين للبزدوي ١٧٠.

^{٢٩٤} سورة الشعراء الآية ٤٣.

^{٢٩٥} سورة الكهف الآية ٧٤.

^{٢٩٦} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٤.

^{٢٩٧} سورة الشعراء الآية ٢٠.

^{٢٩٨} سورة يونس الآية ٣٨.

وهارون كان نبيا فإن كان له ذنب فذاك هو المطلوب وإلا فإيذاؤه ذنب، الجواب لم يكن ذلك على سبيل الإيذاء بل كان يدينه إلى نفسه ليتفحص منه حقيقة الحال فخاف هارون أن يعتقد بنو إسرائيل خلافه لسوء ظنهم بموسى، الرابع قوله للخضر: "لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا" و"شَيْئًا نُّكْرًا" قلنا: من حيث الظاهر، أو أراد عجبا، وفعل الخضر لم يكن منكرا^{٣٠٠}.

٦- سيدنا داود عليه السلام.

ورد في حق داود عليه السلام بعض الآيات التي تنسب إليه الذنب منها قوله تعالى: "قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالٍ نَعَجْتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ"^{٣٠١}.

ووجه استدلالهم بتلك الآية: أن القرآن الكريم صرح على لسان داود عليه السلام بأنه نسب الظلم لأحد الخصمين بتسميته ظلما بغير رؤية أو سماع له.

ويرد الإمام البزدوي على ذلك فيقول: (وفي ذنب داود صلوات الله عليه اختلاف بين العلماء، وأكثر العلماء قالوا: إن ذنبه كان قوله لأحد الخصمين اللذين دخلا عليه: "لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالٍ نَعَجْتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ" فسماه ظلما بقول الخصم الآخر بغير ثبوت ظلمه عنده وإنما قال ذلك: لأنه وقع عنده أنه كما يقول فكان خطأ منه)^{٣٠٢}.

ويفصل الإمام سعد الدين التفتازاني ذلك فيقول: (والخصمان: كانا ملكين أرسلهما الله تعالى إليه لينبهاه فلما تنبه استغفر ربه وخر راکعا وأناب، وسياق الآيات يدل على كرامته عند الله تعالى ونزاهته عما ينسبه إليه الحشوية، إلا أنه بالغ في التضرع، والتحزن، والبكاء، والاستغفار استعظاما للزلة بالنظر إلى ما له من رفيع المنزلة، وتقرير الملكين تمثيل وتصوير للقصة لا إخبار بمضمون الكلام ليلزم الكذب ويحتاج إلى ما قيل: إن المتخاصمين كانا لصين دخلا عليه للسرقه فلما رأها اختراعا الدعوى، أو كانا راعيي غنم ظلم أحدهما الآخر والكلام على حقيقته)^{٣٠٣}.

^{٢٩٩} سورة الأعراف الآية ١٥٠.

^{٣٠٠} شرح المواقف ج ٣ ص ٤٢٥.

^{٣٠١} سورة ص الآية ٢٤.

^{٣٠٢} أصول الدين للبزدوي ص ١٧٠.

^{٣٠٣} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٥.

ويؤكد اختلاق هذه القصة صاحب المواقف فيقول: (ومنه قصة داوود: مختلفة مختلفة للحشوية إذ لا يليق إدخال الدم الشنيع في أثناء المدائح العظام، بل تسور قوم قصره للإيقاع به فلما رأوه مستيقظا اخترع أحدهم الخصومة، ونسبة الكذب إلى اللصوص أولى من نسبته إلى الملائكة)^{٣٠٤}.

٧- سيدنا سليمان عليهم السلام.

وردت بعض الآيات التي تنسب الذنب إلى سليمان عليه السلام منها:

• قوله تعالى: "إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ"^{٣٠٥}

ووجه استدلالهم بتلك الآية: أن سليمان انشغل بالنعمة عن المنعم، حيث شغلته استعراض الأفراس عن صلاة العصر، وعن ورد كان له، ويؤكد وقوعه في المعصية عقره لتلك الأفراس، فكيف بنبي معصوم أن يفتن بزينة الدنيا وغرورها وحبها رأس كل خطيئة؟

قلنا: إن تركه للصلاة والورد كان على سبيل السهو والنسيان، وليس عمدا وقصدا فلا معصية، وأما عقره للأفراس فكان على سبيل الندم فهي سبب انشغاله عن الله، أو على سبيل التقرب إلى الله بالتصدق بما على الفقراء، علاوة على أن انشغاله بما ليس حبا لذاتها بل لأنها آلة الجهاد لأعلاء كلمة الله، فكان يشرف عليها بنفسه تقربا إلى الله، وليس انشغالا بما عنه تعالى كما يقول الإمام الرازي^{٣٠٦}.

ويصور صاحب المقاصد هذا فيقول: (وأما في قصة سليمان فأمر: أحدها: ما أشير إليه بقوله: "إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ" الخ وذلك أنه اشتغل باستعراض الأفراس حتى غربت الشمس وغفل عن العصر، أو عن ورد كان له وقت العشي، فاعتم لذلك، واسترد الأفراس فعقرها.

والجواب: أن ذلك كان على سبيل السهو والنسيان، وعقر الجياد وضرب أعناقها كان لإظهار الندم، وقصد التقرب إلى الله تعالى، والتصدق على الفقراء من أحب ماله، على أن من

^{٣٠٤} شرح المواقف ج ٣ ص ٤٢٥.

^{٣٠٥} سورة ص الآية ٣١.

^{٣٠٦} تفسير الرازي ج ١٣/ ص ٢٠٥.

المفسرين من قال المراد حبه للجهاد، وإعلاء كلمة الله، وضمير توارت للجياد لا للشمس، وإنما طفق مسحاً بالسوق والأعناق تشريفاً لها، أو امتحاناً، أو إظهاراً لإصلاح آلة الجهاد بنفسه^{٣٠٧}.

• وقوله تعالى: "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي" ^{٣٠٨}.

احتج منكروا عصمة الأنبياء بهذه الآية وكان وجه استدلالهم أنهم قالوا: أن فتنة سليمان أنه أذن أن يتخذ وثناً في بيته، حيث أنه أمر الشيطان أن يتمثل في صورة أبي زوجته الذي قتل فعظمت تلك المرأة هذه الصورة وذلك بالسجود لها، فعلم سليمان بذلك فنهرها وحطم تلك الصورة وتاب وأتاب إلى الله تعالى.

وقيل: إن فتنة سليمان كانت بذهاب ملكه حيث كان له زوجة يضع خاتمه عندها فتمثل لها الشيطان في صورة سليمان فأخذ خاتمه وجلس على كرسيه فكان سليمان سبياً في جلوسه على الكرسي وإفساده حال الناس، ويؤكد ذلك أنه طلب من ربه المغفرة فقال: "رَبِّ اغْفِرْ لِي" فلولا تقدم الذنب لما طلب المغفرة، وهذا مما يؤكد ارتكابه للذنب، والشاهد كيف يفتن ويذنب، وأين عصمته^{٣٠٩}؟

وقد أحاب الأمام الرازي عن هذا: بأن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام؛ لأنه يؤدي للمحال، ففي الرواية الأولى يؤدي: لكفر سليمان، أو عدم عدالته تعالى، وهذا محال بالاتفاق، فسليمان عليه السلام أذن لتلك المرأة بعبادة تلك الصورة أم لا؟ فإن أذن فهذا كفر منه، وإن لم يأذن فالذنب على تلك المرأة وليس على سليمان، وعليه فكيف يؤخذ سليمان بفعل لم يصدر عنه وأين العدل الإلهي؟

وأما تأدية الرواية الثانية للمحال؛ فذلك لأنها تبطل الشرائع بالكلية؛ وذلك لأنه لو صح أن الشيطان تمثل في صورة سليمان وحلقته، فلعل هؤلاء الذين رأهم الناس في صورة: محمد، وعيسى، وموسى عليه السلام ما كانوا أولئك، بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة؛ لأجل

^{٣٠٧} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٥.

^{٣٠٨} سورة ص الآية ٣٤: ٣٥.

^{٣٠٩} تفسير الرازي ج ١٣ ص ٢٠٧.

الإغواء والإضلال وهذا يبطل الدين بالكلية، أما طلبه للمغفرة يمكن أن يجاب عنه: بأن الإنسان لا ينفك البتة عن ترك الأفضل والأولى، وحينئذ يحتاج إلى طلب المغفرة؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولأنهم أبداً في مقام هضم النفس وإظهار الذلة والخضوع لله، مثله تعوذ رسولنا صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وهو ليس له، واستغفاره من ذنوب لم يفعلها فهذا كذا، إذا صح ما قلنا بطل ما قالوا، عند ذلك لا بد من تفسير لقوله: "فَتَنَّا سُلَيْمَانَ"^{٣١٠}.

فذهب أهل التحقيق إلى أن فتنة سليمان عليه السلام كانت:

١- أن سليمان عليه السلام ولد له ولد، فتوعدت الشياطين بقتله، فخاف عليه فرباه في السحاب، ثم وجدته ميتاً على كرسيه عند ذلك تنبه أنه لا يستطيع أن يحفظ، والشياطين لا تستطيع أن تضر، فكان لا بد أن يتوكل على الله في كل أمره فاستغفر وأتاب من ذلك.

٢- أن سليمان عليه السلام قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تلد فارساً يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد، فألقته القابلة على كرسيه، فكانت فتنة أن غفل عن قول: إن شاء الله.

٣- أن فتنة سليمان عليه السلام كانت مرضاً شديداً ألقى عليه فطرح على كرسيه من شدة هذا المرض، فكان جسماً بلا روح، ويكون معنى أتاب يعني عاد إلى حالته الأولى قبل مرضه^{٣١١}.

ويصور الإمام سعد الدين التفتازاني هذا فيقول: (وثانيها: ما أشير إليه بقوله: "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ" الآية فإن كان ذلك ما روي أنه ولد له ابن، فكان يغذوه في السحابة خوفاً من أن تقتله الشياطين، أو تخبله مما راعه إلى أن ألقى على كرسيه ميتاً فتنبه لخطئه في ترك التوكل فاستغفر وأتاب فهذا مما لا بأس به وغايته ترك الأولى وليس في التحفظ ومباشرة الأسباب ترك الامتثال لأمر التوكل، وكذا ما روي أنه قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس مجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد له عين واحدة ويد

^{٣١٠} تفسير الرازي ج ١٣ ص ٢٠٧.

^{٣١١} راجع تفسير الرازي ج ١٣ ص ٢٠٧: ٢٠٩.

واحدة ورجل واحدة فألقته القابلة على كرسيه، وأما ما روي عن حديث الخاتم والشیطان وعبادة الوثن في بيته وجلوس الشيطان على كرسيه فعلى تقدير صحته يجوز أن يكون اتخاذ التماثيل غير محرم في شريعته وعبادة التماثيل في بيته غير معلوم له^{٣١٢}.

• وقوله تعالى: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي"^{٣١٣}.

تمسك منكروا العصمة بهذه الآية في الطعن في عصمة الأنبياء؛ لأنها صريحة في أنه طلب من الله ملكا لا يكون لأحد من بعده، وهذا مشعر بالحق والحسد وعدم حب الخير للغير فكيف يكون نبيا معصوما وهذه صفته؟

قلنا: أراد ملكا لا يقدر عليه أحد ليكون معجزة له، لأن شرط المعجزة أن لا يقدر غيره على معارضتها فاستجاب له ربه فقال: "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ" فمن استطع أن يفعل ذلك؟ فأراد بذلك أن يبلغ دين الله، فطلبه الله وليس له، فأين الحق والحسد؟.

يصور الإمام السعد هذه الشبهة ويرد عليها فيقول: (وثالثها: ما يشعر به قوله تعالى: "وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي" من الحسد وعدم إرادة الخير للغير.

والجواب: أن ذلك لم يكن حسدا بل طلبا للمعجزة على وفق ما غلب في زمانه ولاق بحاله، فإنهم كانوا يفتخرون في ذلك العهد بالملك والجاه وهو كان ناشيا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما، أو إظهارا لإمكان طاعة الله وعبادته مع هذا الملك العظيم، وقيل أراد ملكا لا يورث مني وهو ملك الدين لا الدنيا، أو ملكا لا أسلبه ولا يقوم فيه غيري مقامي كما وقع ذلك مرة، وقيل ملكا خفيا لا ينبغي للناس وهي القناعة، وقيل كان ملكه عظيما فخاف أن لا يقوم غيره بشكره ولا يحافظ فيه على حدود الله)^{٣١٤}.

ويشير صاحب المواقف إلى كل ما جاء في حق سليمان فيقول: (ومنه قصة سليمان من وجهين الأول: "إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِبَادُ" الآية.

^{٣١٢} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٥.

^{٣١٣} سورة ص الآية ٣٥.

^{٣١٤} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٥.

الجواب: لا دلالة فيه على فوت الصلاة مع أنه إذا كان فوتها بالنسيان لم يكن ذنباً، وقوله: "أَحْبَبْتُ حُبَّ الْحَبْرِ"^{٣١٥} مبالغة في الحب، وعن ذكر ربي أي بسببه لا بالهوى؛ لأن رباط الخيل بأمره "فَطَفِقَ مَسْحًا" معناه يمسح رؤوسها وأعناقها إكراماً لها، وحمله على قطعها ضعيف إذ لا دلالة للفظ عليه، ورجوع ضمير توارت إلى الشمس أبعد المحتملين.

الثاني: "وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ" الجواب: النبي سليمان أطوف الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة ولدا يقاتل في سبيل الله، فلم تحمل إلا واحدة فولدت نصف غلام فجاءت به القابلة فألقته على كرسيه بين يديه ولو أنه قال إن شاء الله كان كما قال، فالابتلاء إنما كان لترك الاستثناء، وقيل مرض حتى صار كجسد بلا روح، وقيل ولد له ولد فخاف الشياطين أن تملكه فأمر السحاب أن يحمله وأمر الريح أن تحمل إليه غذاءه فمات فألقي على كرسيه.

الثالث قوله: "وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِي مِنْ بَعْدِي" حسد.

الجواب: معجز كل نبي من جنس ما يفتخر به أهل زمانه، وكان هو الملك، أو أراد أن ملك الدنيا موروث فطلب ملك الدين، أو أراد الملك العظيم مع القناعة)^{٣١٦}.

٨- يونس عليه السلام.

تمسك من نفى عصمة الأنبياء عليهم السلام بقوله تعالى في حق يونس عليه السلام: "وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"^{٣١٧} من ثلاثة أوجه:

(الأول) أنه ذهب مغاضبا وذلك كان محظورا، ألا ترى أن الله تعالى قال: "فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُكْرِهْ كُصَاحِبِ الْحَوْتِ"^{٣١٨} فذلك يقتضي أن ذلك الفعل من يونس عليه السلام كان محظورا.

(الثاني) قوله: "فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ" وذلك يقتضي كونه شاكاً في قدرة الله تعالى.

^{٣١٥} سورة ص الآية ٣١.

^{٣١٦} شرح المواقف ج ٣ ص ٤٢٥.

^{٣١٧} سورة الأنبياء الآية ٨٧.

^{٣١٨} سورة ن الآية ٤٨.

(الثالث) قوله: "إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"^{٣١٩}.

وقد رد صاحب المقاصد على ذلك بقوله: (والجواب: أن المغاضبة على الكفار المعاندين، لا على الله تعالى، ومعنى أن لن نقدر لن نضيق عليه، كما في قوله تعالى "فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ"^{٣٢٠} فلا يوجب شكاً في القدرة، ومعنى الظلم في قوله: "إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" ترك الأفضل وهو الصبر، وهذا معنى قوله تعالى: "وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ" أي في ترك الصبر على معاندة الكفار)^{٣٢١}.

ويؤكد نفس المعنى صاحب المواقف فيقول: (والجواب: لعل غضبه كان على قوم كفره فظن أن لن نقدر عليه، أي لن نضيق عليه، وإني كنت من الظالمين، أي لنفسي بترك الأولى: "وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ" أي في قلة الصبر)^{٣٢٢}.

٩- سيدنا عيسى عليه السلام.

ورد في حقه عليه السلام بعض الآيات التي يوهم ظاهرها صدور الذنب منه منها قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ"^{٣٢٣}.

ووجه استدلالهم بهذه الآية (من وجوه: (الأول): أن عيسى عليه السلام إن كان قال هذا الكلام فالإشكال قائم، وإن لم يقل كان الاستفهام عبثاً (الثاني): أن النفس هي الجسد، فقوله تعالى: "وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ" ظاهره يوهم إثبات الجسد لله تعالى (الثالث): أن كلمة: "فِي" للظرفية، وهي لا تجيء إلا في الأجسام)^{٣٢٤}.

^{٣١٩} عصمة الأنبياء ص ١١٤.

^{٣٢٠} سورة الفجر الآية ١٦.

^{٣٢١} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٥.

^{٣٢٢} شرح المواقف ج ٣ ص ٤٢٥.

^{٣٢٣} سورة المائدة الآية ١١٦.

^{٣٢٤} عصمة الأنبياء للرازي/ ص ١١٩.

(والجواب): عن الأول أنه عليه السلام ما قال ذلك، وللاستفهام فائدة: وهي تقريع من ادعى ذلك من النصارى، وعن الثاني أن النفس في اللغة بمعنى الذات، يقال: نفس الشيء ذاته، وعن الثالث أن المراد حلول الصفة في الموصوف) ^{٣٢٥}.

والواضح أن مكنم الإشكال في الاستفهام في قوله: "أأنت" فهذا الاستفهام كان في الدنيا، أم في الآخرة، وحال كونه في الدنيا: قبل رفعه، أم اثنا عشره، أم بعده، وكونه في الآخرة: هل الكلام لعيسى عليه السلام على سبيل الحقيقة، أم لقومه من باب التعريض؟

يجيب الامام الماتريدي (ت ٣٣٣هـ = ٩٤٤م) ^{٣٢٦} على ذلك فيقول: (يحتمل هذا القول أوجهًا ثلاثة: أحدها: إن كان هذا القول منه في الوقت الذي كان عيسى بين أظهرهم؛ ليكون ذلك آية وحجة لمن تبعه على من زاغ عن طريقه، وضل عن سبيل الهدى؛ لأنه تبرأ أن يكون قال لهم ذلك، ويحتمل: أن يكون قال ذلك له وقت رفعه إلى السماء: قرر عنده أن قومه يقولون ذلك القول بعد مفارقتهم قومه، وقيل: إنه يقول ذلك له يوم القيامة ويكون "قَالَ" بمعنى: "يَقُولُ" كقوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ" ^{٣٢٧} وكقوله تعالى: "يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا" ^{٣٢٨} أي: يقولون، وذلك جائز "قَالَ" بمعنى: "يَقُولُ"، وذلك في القرآن كثير) ^{٣٢٩}.

ويشير الإمام القشيري (ت ٤٦٥هـ = ١٠٧٢م) ^{٣٣٠} إلى تنزيه المسيح عن تلك الغريبة فيقول: (المراد من هذا السؤال: إظهار براءة ساحته عما نسب إليه من الدعاء إلى القول بالتثليث، فهذا ليس خطاب تعنيف بل هو سؤال تشریف، ثم إن عيسى عليه السلام حفظ أدب الخطاب فلم يرك نفسه، بل بدأ بالثناء على الحق سبحانه، فقال: تنزيها لك! إنني أنزهك عما لا يليق بوصفك، ثم قال: "ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ" أي إني إن كنت مخصوصا من قبلك

^{٣٢٥} عصمة الأنبياء للرازي/ ص ١١٩.

^{٣٢٦} محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي (٣٣٣هـ = ٩٤٤م) راجع الأعلام ج ٧ ص ١٩.

^{٣٢٧} سورة غافر الآية ٤٩.

^{٣٢٨} سورة المائدة الآية ١٠٩.

^{٣٢٩} تفسير الماتريدي ج ٣/ ٦٥٢.

^{٣٣٠} عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري (٣٧٦هـ = ٩٨٦م) راجع الأعلام ج ٤ ص ٥٧.

بالرسالة، وشرط النبوة العصمة، فكيف يجوز أن أفعل ما لا يجوز لي؟ ثم إنني "إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ" كان واثقا بأن الحق سبحانه عليم بنزاهته من تلك القالة^{٣٣١}.

ويوضح الإمام الرازي ذلك فيقول: (واعلم أن الله تعالى لما سأل عيسى أنك هل قلت كذا؟ لم يقل عيسى بأني قلت أو ما قلت، بل قال: ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، وهذا ليس بحق؛ ينتج أنه ما يكون لي أن أقول هذا الكلام، ولما بين أنه ليس له أن يقول هذا الكلام شرع في بيان أنه هل وقع هذا القول منه أم لا؟ فلم يقل بأني ما قلت هذا الكلام؛ لأن هذا يجري مجرى دعوى الطهارة والنزاهة، والمقام مقام الخضوع والتواضع، ولم يقل بأني قلته، بل فوض ذلك إلى علمه المحيط بالكل فقال: "إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ" وهذا مبالغة في الأدب وفي إظهار الذل والمسكنة في حضرة الجلال، وتفويض الأمور بالكلية إلى الحق سبحانه، ثم قال تعالى: "تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ" وفيه مسألتان: المسألة الأولى: المفسرون ذكروا فيه عبارات: تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي، وقيل: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك، وقيل: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك، وقيل: تعلم ما كان مني في الدنيا ولا أعلم ما كان منك في الآخرة، وقيل: تعلم ما أقول وأفعل، ولا أعلم ما تقول وتفعل، المسألة الثانية: تمسكت الجسمة بهذه الآية وقالوا: النفس هو الشخص، وذلك يقتضي كونه تعالى جسما، والجواب من وجهين: الأول: أن النفس عبارة عن الذات، يقال: نفس الشيء وذاته، بمعنى واحد، والثاني: أن المراد تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه ذكر هذا الكلام على طريق المطابقة والمشاكلة وهو من فصيح الكلام، ثم قال تعالى: "إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ" وهذا تأكيد للجملتين المتقدمتين، أعني قوله: "إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ"، وقوله: "تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ"^{٣٣٢}.

ويبين الماتريدي المراد بالنفس فيقول: (يتكلم في النفس على وجهين: أحدهما: يراد ما يضم، والثاني: على إرادة الذات؛ فإن كان الله يتعالى عن أن يوصف بالذات كما يوصف الخلق؛

^{٣٣١} لطائف الإشارات ج ١ / ص ٤٥٦ : ٤٥٧. تحقيق د إبراهيم بسيوني ط دار الكتاب العربي للطباعة بالقاهرة.

^{٣٣٢} تفسير الرازي ج ١٢ ص ٤٦٦.

دل أنه إنما يراد بذلك غيره وهو أن يقال: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك، أو يقول: تعلم ما كان مني ولا أطلع على غيبك^{٣٣٣}.

ويبين الإمام القشيري المراد بالنعفس فيقول: ("تَعَلَّمْ ما فِي نَفْسِي": أي علمك محيط بكل معلوم "ولا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ" أي لا أطلع على غيبك إلا بقدر ما تعزفني بإعلامك، "إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ" الذي لا يخرج معلوم عن علمك، ولا مقدور عن حكمك)^{٣٣٤}

الآية الثانية قوله تعالى: "إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"^{٣٣٥}.

ووجه استدلالهم من هذه الآية: (كيف جاز لعيسى عليه السلام أن يقول: "وإن تغفر لهم" والله لا يغفر الشرك؟)^{٣٣٦}.

(الجواب) المقصود من هذا الكلام: تفويض الأمر إلى الله تعالى بالكلية، وترك الاعتراض وتحقيق معنى: "الْأَيْسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ"^{٣٣٧} (٣٣٨).

ويفصل الإمام الرازي هذا الإجمال فيقول: (والجواب عنه من وجوه: الأول: أنه تعالى لما قال لعيسى عليه السلام: "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله" علم أن قوماً من النصارى حكوا هذا الكلام عنه، والحاكي لهذا الكفر عنه لا يكون كافراً بل يكون مذنباً حيث كذب في هذه الحكاية وغفران الذنب جائز، فلهذا المعنى: طلب المغفرة من الله تعالى، والثاني: أنه يجوز على مذهبننا من الله تعالى أن يدخل الكفار الجنة، وأن يدخل الزهاد والعباد النار، لأن الملك ملكه ولا اعتراض لأحد عليه، فذكر عيسى هذا الكلام ومقصوده منه: تفويض الأمور كلها إلى الله، وترك التعرض والاعتراض بالكلية، ولذلك ختم الكلام بقوله: "فإنك أنت العزيز الحكيم" يعني أنت قادر على ما تريد، حكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد عليك، فمن أنا والخوض في

^{٣٣٣} تفسير الماتريدي ج ٣ / ٦٥٣

^{٣٣٤} القشيري ج ١ / ٤٥٧

^{٣٣٥} سورة المائدة الآية ١١٨ .

^{٣٣٦} تفسير الرازي ج ١٢ / ص ١٤٤ .

^{٣٣٧} سورة الأنبياء الآية آية ٢٣ .

^{٣٣٨} عصمة الأنبياء ص / ١٢٠ .

أحوال الربوبية، وقوله: إن الله لا يغفر الشرك فنقول: غفرانه جازئ عندنا، وعند جمهور البصريين من المعتزلة قالوا: لأن العقاب حق الله على المذنب وفي إسقاطه منفعة للمذنب، وليس في إسقاطه على الله مضرة، فوجب أن يكون حسناً بل دَلَّ الدليل السمعي في شرعنا على أنه لا يقع، فلعل هذا الدليل السمعي ما كان موجوداً في شرع عيسى عليه السلام.

الوجه الثالث: في الجواب: أن القوم قالوا هذا الكفر فعيسى عليه السلام جَوَّز أن يكون بعضهم قد تاب عنه، فقال: "إِنْ تُعَذِّبُهُمْ" علمت أن أولئك المعذيين ماتوا على الكفر فلك أن تعذبهم بسبب أنهم عبادك، وأنت قد حكمت على كل من كفر من عبادك بالعقوبة، وإن تغفر لهم علمت أنهم تابوا عن الكفر، وأنت حكمت على من تاب عن الكفر بالمغفرة.

الوجه الرابع: أنا ذكرنا أن من الناس من قال: إن قول الله تعالى لعيسى "أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ" إنما كان عند رفعه إلى السماء لا في يوم القيامة، وعلى هذا القول فالجواب سهل لأن قوله: "إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ" يعني إن توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فإنهم عبادك فلك ذلك، وإن أخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، وغفرت لهم ما سلف منهم فلك أيضاً ذلك، وعلى هذا التقدير فلا إشكال.. وقال قوم آخرون: إنه لو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم، أشعر ذلك بكونه شفيعاً لهم، فلما قال: "فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" دل ذلك على أن غرضه تفويض الأمر بالكلية إلى الله تعالى، وترك التعرض لهذا الباب من جميع الوجوه^{٣٣٩}.

ويقول الإمام القشيري: (بيِّن أن حكم المولى في عبيده نافذ بحكم إطلاق ملكه، فقال إن تعذبهم يحسن منك تعذيبهم وكان ذلك لأنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أي المعز لهم بمغفرتك لهم، ويقال: أنت العزيز الحكيم الذي لا يضررك كفرهم، ويقال: "الْعَزِيزُ" القادر على الانتقام منهم فالعفو عند القدرة سمة الكرم، وعند العجز أمانة الدَلِّ، ويقال: إن تغفر لهم فإنك أعزّ من أن تتجمل بطاعة مطيع، أو تنتقص بزلّة عاص وقوله: "الْحَكِيمُ" ردّ على من قال: غفران الشُّرك ليس بصحيح في الحكمة^{٣٤٠}.

^{٣٣٩} تفسير الرازي ج ١٢ / ص ١٤٤ : ١٤٦.

^{٣٤٠} تفسير القشيري ج ١ / ٤٥٨.

١٠ - سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

تمسك منكروا العصمة ببعض الآيات التي يوهم ظاهرها صدور الذنب منه صلى الله عليه وسلم وهذه الآيات منها ما يتعلق بالعقائد، ومنها ما يتعلق بالشرائع، ومنها ما يتعلق بالأخلاق. أولاً: ما يتعلق بالعقائد: منها: قوله تعالى: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ" ^{٣٤١} وأيضاً قوله: "مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ" ^{٣٤٢}.

تمسك منكروا العصمة بماتين الآيتين على عدم إيمانه صلى الله عليه وسلم فقالوا: قبل نزول الوحي عليه ماذا كان اعتقاده؟ مؤمن أم غير ذلك، فإن كان مؤمناً فأمره بالإيمان بعد الوحي تحصيل حاصل وهذا عبث لا يليق بالله تعالى، وإن كان غير مؤمن، فماذا يكون؟ فالآيتين صرحتا في أنه كان غير مؤمن فصح ما قلنا.

ويصور الإمام الرازي تلك الفرية فيقول: (أما قوله تعالى: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ" فاعلم أن بعض الناس ذهب إلى أنه كان كافراً في أول الأمر، ثم هداه الله وجعله نبياً، قال الكلبي ^{٣٤٣}: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ" يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد، وقال السدي ^{٣٤٤} كان على دين قومه أربعين سنة، وقال مجاهد ^{٣٤٥}: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ" عن الهدى لدينه، واحتجوا على ذلك بآيات أخرى منها قوله: "مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ" وقوله: "وَأِنْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْعَافِينَ" ^{٣٤٦} وقوله: "الَّذِينَ أَشْرَكْتُمْ كَيْحَبْطَنَّ عَمَلُكَ" ^{٣٤٧} فهذا يقتضي صحة ذلك منه، وإذا دلت هذه الآية على الصحة وجب حمل قوله: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ" عليه ^{٣٤٨}.

^{٣٤١} سورة الضحى الآية ٧.

^{٣٤٢} سورة الشورى الآية ٥٢.

^{٣٤٣} محمد بن السائب بن بشر الكلبي توفي سنة ست وأربعين ومائة. راجع الأعلام ج ٦ ص ١٣٣.

^{٣٤٤} إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي توفي في سنة سبع وعشرين ومائة. راجع الأعلام ج ١ ص ٣١٧.

^{٣٤٥} مجاهد بن جبر تابعي ولد عام ٢١ ١٠٤ هـ = ٦٤٢ ٧٢٢ م راجع العلام ج ٥ ص ٢٧٨.

^{٣٤٦} سورة يوسف الآية ٣.

^{٣٤٧} سورة الزمر الآية ٦٥.

^{٣٤٨} تفسير الرازي ج ١٦ ص ٢١٦.

وقد رد تلك الشبهة الإمام الرازي فقال: (أما الجمهور من العلماء فقد اتفقوا على: أنه عليه السلام ما كفر بالله لحظة واحدة، ثم قالت المعتزلة: هذا غير جائز عقلا لما فيه من التنفير، وعند أصحابنا هذا غير ممتنع عقلا، لأنه جائز في العقول أن يكون الشخص كافرا فيرزقه الله الإيمان ويكرمه بالنبوة، إلا أن الدليل السمعي قام على أن هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى: "مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى" ^{٣٤٩} ٣٥٠.

فإذا كان الجمهور من العلماء قد اتفقوا على نفي كفره صلى الله وسلم، فما تفسيرهم لقوله تعالى: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى"؟ فالآية تنسب الضلال للرسول صلى الله عليه وسلم ومعناه الانصراف عن الحق فما معناه عندهم؟ وقوله تعالى: "مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ" وما معنى عدم درايته بالإيمان؟.

ذكر الإمام الرازي عشرين وجها لمعناه ^{٣٥١} ملخصها: (إن الضلال هو الذهاب والانصراف ولا بد من أمر يكون منصرفا عنه وهو غير مذكور، والخبر ان بغير ما يوافق الدليل وهو أمور أربعة: (الأول) وجدك ضالا عن النبوة فهذا إليها ويؤكد قوله تعالى: "مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ" (الثاني) وجدك ضالا عن المعيشة وطريق الكسب (الثالث) وجدك ضالا في زمان الصبي في بعض المفاوز (الرابع) وجدك ضالا أي مضلولا عنه في قوم لا يعرفون حقا فهذاهم إلى معرفتك كما يقال: فلان ضال في قومه إذا كان مضلولا عنه) ^{٣٥٢}.

ويوضح السعد ذلك فيقول: (معناه: فقدان الشرائع والأحكام، وقيل: إنه ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل (ت ٢هـ = ٦٢٤م) ^{٣٥٣} إلى عبدالمطلب (ت ٤٥ ق هـ =

^{٣٤٩} سورة النجم الآية ٢.

^{٣٥٠} تفسير الرازي ج ١٦ ص ٢١٦.

^{٣٥١} راجع تفسير الإمام الرازي ج ١٦ ص ٢١٦.

^{٣٥٢} عصمة الأنبياء ١٢١.

^{٣٥٣} عمرو بن هشام القرشي مات ٢ هـ = ٦٢٤م. راجع الإعلام ج ٥ ص ٨٧.

٣٥٤ (م٥٧٩)، وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب، وبالجملة لا دلالة على العصيان والميل عن طريق الحق، ولذا قال: "مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى" (٣٥٥) (٣٥٦).

وعليه لو صح كلام منكروا العصمة في هذه الآية لأدى للمحال وهو:

تناقض القرآن الكريم: وذلك لأن هناك آيتين تحدثتا عن ذلك: قوله تعالى: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى" وقوله تعالى: "مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى" فلو صحتا لكان هناك تناقضا بينهما وهذا محال لقوله تعالى: "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا" (٣٥٧) فلا بد من تأويل أحدهما وعدم حمله على ظاهره؛ لأنه يؤدي لتناقض القرآن، إذا فنحن بين احتمالين: إما أن نكذب الله ونصدقكم، أو نكذبكم ونصدق الله تعالى !!! فيجب حمل الضلال المنسوب للرسول على أنه غير عقدي خاصة وأنه مطلق "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى" وأما الثاني فمقيد "وَمَا غَوَى" ومن المعلوم أنه يجب حمل المطلق على المقيد والعام على الخاص.

٢- فقدان القدوة والمثال: من المعروف أن المثال يوضع ليقاس عليه، فلو كان خطأ ما صح

القياس عليه، ولا يحتذى به، وبالقياس لو كان المعصوم صلى الله عليه وسلم كافرا فمن يحتذى به ويقاس عليه، ولو صح كلامهم فما معنى قوله تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" (٣٥٨)؟

ومنها: قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَّتْ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ فِي

أُفْسُتِهِ" (٣٥٩).

يقول منكروا العصمة: جلس رسول صلى الله عليه وسلم مع قومه ذات يوم وتمنى أن ينزل عليه من الله ما يقارب بينه وبينهم لحرصه الشديد على هدايتهم، فأنزل الله عليه سورة النجم فقرأها حتى وصل إلى قوله: "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ" ثم قرأ بعدها: (تلك

٣٥٤ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف (١٢٧ ق هـ ٤٥ ق هـ = ٥٠٠ م٥٧٩). راجع الأعلام ج ٤ ص ١٥٤.

٣٥٥ سورة النجم الآية ٢.

٣٥٦ شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٤.

٣٥٧ سورة النساء الآية ٨٢.

٣٥٨ سورة الأحزاب الآية ٢١.

٣٥٩ سورة الحج الآية ٥٢.

الغرائق العلى وإن شفاعتها لترتجى) فلما سمع قومه ذلك فرحوا وقالوا: إن محمدا ذكر آهتنا بخير وعظمتها، ولا شك أن تعظيم الأوثان كفر، فكيف ذلك وقد بعث لإبطال تعظيمها وعبادتها!! فنزلت هذه الآية: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ" للعفو عن الرسول صلى الله عليه وسلم، والعفو لا يكون إلا عن خطأ وذنوب فأين عصمته؟

قلنا: هذه الرواية بهذا المعنى باطلة ويدل على بطلانها، القرآن، والسنة، والمعقول.

أما القرآن:

قوله تعالى: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ" ^{٣٦٠} يعني لو نسب محمد صلى الله عليه وسلم إلينا قولاً لم نقله لمنعنا عن ذلك، إما بواسطة إقامة الحجة فإننا كنا نقيض له من يعارضه فيه وحينئذ يظهر للناس كذبه فيه فيكون ذلك إبطالا لدعواه وهدما لكلامه، وإما بأن نسلب عنه القدرة على التكلم بذلك القول وهذا هو الواجب في حكمة الله تعالى لئلا يشتبه الصادق بالكاذب وكل ذلك لم يكن فبطل ما قالوا ^{٣٦١}.

وقوله تعالى: "قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ" ^{٣٦٢}. يعني أمره ربه أن يقول لهم: لا يجوز لي أن أبدله من تلقاء نفسي متوعدا له بالعذاب إن عصى، فما حكم صلى الله عليه وسلم إلا بما أوحى إليه، وما قالوه متعارض مع هذه الآية مفهوماً وقوله تعالى: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" ^{٣٦٤} ولو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرائق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى في الحال وذلك لا يقوله مسلم ^{٣٦٥}.

وقوله تعالى: "وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُنَّكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَجِدُوكَ ظَالِمًا" ^{٣٦٦} وكلمة: كاد عند بعضهم معناه قرب أن يكون الأمر كذلك مع أنه لم يحصل ^{٣٦٧}.

^{٣٦٠} سورة الحاقة الآيات ٤٤ : ٤٦ .

^{٣٦١} تفسير الرازي ج ١٥ ص ١١٨ : ١١٩ .

^{٣٦٢} سورة يونس الآية ١٥ .

^{٣٦٣} تفسير الرازي ج ٩ ص ٥٩ .

^{٣٦٤} سورة النجم الآية ٣ : ٤ .

^{٣٦٥} تفسير الرازي ج ١٢ ص ٥١ .

وقوله: "وَلَوْلَا أَنْ بَشَّرْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرَكُّهُ إِيَّهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا"^{٣٦٨} وكلمة: لولا تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل على أن ذلك الركون القليل لم يحصل^{٣٦٩}.

وقوله: "كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ"^{٣٧٠} يعني أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن من أهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه الغلط والسهو^{٣٧١} فالقائلون بتلك الرواية أضاعوا الغرض من تلك الآية.

وقوله تعالى: "سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى"^{٣٧٢} أي سنجعلك قارئاً للقرآن بأن نلهمك القراءة فلا تنسى ما تقرؤه^{٣٧٣} فكيف يستقيم ذلك مع ما قالوه؟.

وأما السنة: فقد قال حفاظها كأمثال ابن خزيمة^{٣٧٤}، والبيهقي^{٣٧٥}، والبخاري^{٣٧٦} بأن هذه الرواية لم تثبت متنا ولا سنداً وليس فيها البتة حديث الغرائيق، بل قالوا: إنها من وضع الزنادقة ورواها مطعون فيهم^{٣٧٧}.

وأما المعقول فمن وجوه:

١- من جوز على الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفر، لأنه من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه صلى الله عليه وسلم كان في نفي الأوثان وإبطال عبادتها.

^{٣٦٦} سورة الإسراء الآية ٧٣.

^{٣٦٧} الرازي ج ٩ ص ٥١.

^{٣٦٨} سورة الإسراء الآية ٧٤.

^{٣٦٩} تفسير الرازي ج ١٢ ص ٥١.

^{٣٧٠} سورة الفرقان الآية ٣٢.

^{٣٧١} تفسير الرازي ج ١٢ ص ٧٩.

^{٣٧٢} سورة الأعلى الآية ٦.

^{٣٧٣} الرازي ج ١٦ ص ١٤١: ١٤٣.

^{٣٧٤} محمد بن إسحاق بن خزيمة الشافعي (٢٢٣ هـ - ٣١١ هـ) = ٨٣٨ - ٩٢٤ م راجع الأعلام ج ٦ ص ٢٩.

^{٣٧٥} إسماعيل بن الحسين بن عبد الله البيهقي توفي ٤٠٢ هـ ١٠١٢ م راجع الأعلام ج ١ ص ٣١٢.

^{٣٧٦} محمد بن إسماعيل البخاري ولد ١٩٤ هـ ٨١٠ = ٨٧٠ م راجع الأعلام ج ٦ ص ٣٤.

^{٣٧٧} راجع تفسير الرازي ج ١٢ ص ٥١.

٢- ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمكنه أول أمره أن يصلي أو يقرأ القرآن عند الكعبة لما بينه وبينهم من عدواه فمتى حضره وسمعوا منه تلك الآية؟

٣- كيف توافقوا على الأدنى (سماع الآية) مع أنهم معارضون لأصل هذا الدين؟ فهل علم قومه بموافقتهم على هذا الأدنى حتى يقولوا أن محمد عظم أهتنا؟

٤- منع الله تعالى ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه للآيات التي تبقى الشبهة معها؛ لئلا يلتبس ما ليس بقرآن بالقرآن وهذا هو معنى قوله تعالى: "فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ".^{٣٧٨}

٥- أننا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك وبذا يبطل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ"^{٣٧٩} فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه، فبهذه الوجه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة)^{٣٨٠}.

ولو سلمنا بصحتها فلا دلالة فيها على تعمد الذنب لذا يقول الإمام سعد الدين التفتازاني: (وما روي من أنه قرأ بعد قوله: "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ" تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتها لترتجى، فلما أخبره جبريل بما وقع منه حزن وخاف خوفا شديدا فنزل قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ" تسلية له، فالجواب أنه كان من إلقاء الشيطان لا تعمدا منه، وقيل بل الغرائيق هي الملائكة، وكان هذا قرآنا فنسخ، وقيل معنى تمى النبي: حديث النفس وكان الشيطان يوسوس إليه غير الهدى فينسخ الله وسأوسه من نفسه ويهديه إلى الصواب)^{٣٨١}.

^{٣٧٨} سورة الحج الآية ٥٢.

^{٣٧٩} سورة المائدة الآية ٦٧.

^{٣٨٠} تفسير الرازي ج ١٢ ص ١٥١: ١٥٢.

^{٣٨١} شرح المقاصد ج ٢ ص ١٤٦.

ثانيا: ما يتعلق بالشرائع منها قوله تعالى: "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ"^{٣٨٢} وقوله: "لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ"^{٣٨٣} وقوله: "لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ"^{٣٨٤}.

تمسك منكروا العصمة بظواهر تلك الآيات فقالوا: هذه الآيات صريحة في أنه تعالى طلب من نبيه الاستغفار ليتوب عليه ويغفر له، ومن الثابت أن طلب المغفرة والتوبة لا بد أن يكون عن ذنب.

قلنا: هذا محمول على ما فرط منه من الزلة وترك الأفضل والأولى.

ويصور صاحب المقاصد هذا فيقول: (وأما في حق نبينا مثل: "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ" و: "لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ" و "لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ" محمول على ما فرط منه من الزلة وترك الأفضل والأولى)^{٣٨٥}.

ومنها: قوله تعالى: "وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ"^{٣٨٦}

تمسك منكروا العصمة بظاهر تلك الآية من أن الله تعالى قد حط عن الرسول صلى الله عليه وسلم الآثام والأوزار وهذا لا يكون إلا بعد تفويت مأمور به، أو ارتكاب منهي عنه، فإين عصمته من تلك الآية؟ ويجيب الإمام السعد عن ذلك فيقول: (وقوله: "وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ" مثل لما كان يتقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة، أو من جهله بالشرائع والأحكام، أو من تهالكه على إسلام أولي العناد وتلهفه)^{٣٨٧}.

ويفصل الإمام الرازي هذا قائلا: (قوله تعالى: "وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ" الآية صريحة في الذنب (جوابه) من وجوه: (الأول) حمله على الوزر الذي كان قبل النبوة، (الثاني) حمله على الصغيرة أو ترك الأولى (الثالث) أن الوزر في أصل اللغة هو الثقل قال الله تعالى "حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا" أي أثقالها، وإنما سمي الذنب بالوزر لأنه يتقل كاسبه؛ فعلى هذا تسمية الذنب بالوزر مجاز

^{٣٨٢} سورة غافر الآية ٥٥.

^{٣٨٣} سورة التوبة الآية ١١٧.

^{٣٨٤} سورة الفتح الآية ٢.

^{٣٨٥} شرح المقاصد ج ٢ / ص ١٤٥، وراجع كتاب العصمة للإمام الرازي ١٣٩.

^{٣٨٦} سورة الشرح الآية ٢.

^{٣٨٧} شرح المقاصد ج ٢ ١٤٥.

آخر، وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان في غم شديد لإصرار قومه على الشرك، وأنه كان هو وأصحابه فيما بينهم مستضعفين فلما أعلى الله كلمته، وعظم أمره فقد وضع وزره، ويقوى هذا التأويل قوله: "وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"^{٣٨٨} فإن العسر بالشدائد والغموم أشبهه، واليسر بإزالة الهموم أشبهه)^{٣٨٩}

ومنها: قوله تعالى: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ"^{٣٩٠}

يبين الإمام الرازي وجه استدلال منكروا العصمة بتلك الآية فيقول: (أنه لما استأذنه قوم في التخلف عن الخروج معه إلى الجهاد فأذن لهم فقال الله تعالى: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ" والعفو لا يكون إلا بعد الذنب فدل على أنه كان مذنباً).

وأجاب الإمام الرازي عن ذلك قائلاً: (أن العفو يقتضي ترك المؤاخذة، وقوله: "لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ" مؤاخذة فلو أجزينا قوله تعالى: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ" على ظاهره لزمنا المناقضة، فعلمنا أنه ليس المراد ذلك كما يقال: أنت رحمك الله وغفر لك، وإن لم يكن هناك ذنب البتة، وأيضاً فهذا من باب التدبير في الحرب وقد بينا أن تارك الأفضل فيه قد يقرع ويوبخ)^{٣٩١}.

ويشير الإمام سعد الدين التفتازاني إلى هذا فيقول: (وقوله: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ" تلتف في الخطاب، وعتاب على ترك الأفضل، وإرشاد إلى الاحتياط في تدبيره الخيرات)^{٣٩٢}.

ومنها: قوله تعالى: "مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّىٰ يُبْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"^{٣٩٣}.

تمسك المانعون بهذه الآية من وجوه:

^{٣٨٨} سورة الشرح الآية ٥: ٦.

^{٣٨٩} عصمة الأنبياء ص ١٣٥.

^{٣٩٠} سورة الأنفال الآية ٤٣.

^{٣٩١} عصمة الأنبياء ص ١٣٤.

^{٣٩٢} شرح المقاصد ص ١٤٥.

^{٣٩٣} سورة الأنفال الآية ٦٧: ٦٨.

١- تحقيق المنهي عنه وهو أنه لا يجوز أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم أسرى بدليل أن الأسرى كانوا في أيديهم فكان الذنب لازماً من هذا الوجه.

٢- أمر الله تعالى رسوله عليه السلام بقتلهم لا أسرهم فكان الأسر منه معصية.

٣- حكمه صلى الله عليه وسلم بأخذ الفداء مخالف لحكم الله بقتلهم بدليل أنه بكى وبكاؤه دليل ذنبه^{٣٩٤}.

يصور هذا الإمام الرازي فيقول: (تمسكوا بقوله تعالى: "مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْحَرَ فِي الْأَرْضِ" والاستدلال من ثلاثة أوجه:

(الأول) قوله تعالى: "مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى" وذلك يقتضي أن يكون استبقاء

الأسرى محرماً.

(الثاني) قوله: "تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا" وذلك مذكور في معرض الدم.

(الثالث) قوله تعالى: "لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ".

(الجواب) الذي يدل على براءة منصب الأنبياء في هذه الواقعة عن كل ما لا ينبغي

وجوه:

(الأول) أنه إما أن يكون قد أوحى له في جواز الأسر وخطر إليه شيء، أو ما أوحى إليه

شيء، فإن كان قد أوحى إليه شيء لم يجز للنبي عليه الصلاة والسلام أن يستشير أصحابه فيه، لأن مع قيام النص وظهور الوحي لا يجوز الاشتغال بالاستشارة، وإن لم يوح إليه شيء البتة لم يتوجه عليه ذنب البتة.

(الثاني) أن ذلك الحكم لو كان خطأ لأمر الله تعالى بنقضه، فكان يؤمر بقتل الأسرى

ويرد ما أخذ منهم قلنا: لما لم يكن كذلك بل قال: "فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا"^{٣٩٥} علمنا أنه لم يوجد الخطأ في ذلك الحكم البتة.

(الثالث) أنه عليه الصلاة والسلام لم يشتغل بالاستغفار واللوم، وذلك يدل على عدم

الذنب على ما تقدم، وإذ قد بينا ذلك فنقول: كما يأتي العتاب على ترك الواجب فقد يأتي أيضا

^{٣٩٤} تفسير الإمام الرازي ج ٨ ص ٢٠٥.

^{٣٩٥} سورة الأنفال الآية ٦٩.

على ترك الأولى، والأولى في ذلك الوقت الاثخان وترك الفداء قطعاً للأطماع وحسماً للنزاع ولولا أن ذلك من باب الأولى لما فوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك إلى الأصحاب وهذا هو العذر عن قوله: "مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى" فأما قوله: "تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا" فهو خطاب جمع فيصرف ذلك إلى القوم الذين رغبوا في المال، وأما قوله: "لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ" فمعناه لولا ما سبق من تحليل الغنائم لعذبتكم بسبب أخذكم هذا الفداء، وهذا غاية التقريع في تحطّئتهم في أخذ الفداء من جهة التدبير.

فإن قلت: فإن كان ذلك محلاً لهم فما هذا التقريع البالغ؟، قلت: لأن ذلك من باب الحروب، وما كان من ذلك الباب فقد يقع الخطأ فيه من جهة التدبير ويقرّع ذلك المخطئ، وإن كان غير مذنب^{٣٩٦}.

ثالثاً: ما يتعلق بالأخلاق منها: قوله تعالى: "عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى"^{٣٩٧}.

القائلون بصدور الذنب عن الأنبياء عليهم السلام تمسكوا بهذه الآية فقالوا: ظاهر الواقعة يوهم تقدم الأغنياء على الفقراء، وانكسار قلوب الفقراء، لهذا حصلت المعاتبة، ولعل هذا العتاب لم يقع على ما صدر من الرسول عليه الصلاة والسلام من الفعل الظاهر بل على ما كان منه في قلبه، وهو أن قلبه عليه الصلاة والسلام كان قد مال إليهم بسبب قربتهم وشرفهم وعلو منصبهم وكان ينفر طبعه عن الأعمى بسبب عماه وعدم قربته وقلة شرفه فلما وقع التعميس والتولي لهذا الداعية وقعت المعاتبة، فلما عاتبه الله في ذلك الفعل دل على أن ذلك الفعل كان معصية فكيف يتفق مع عصمته؟^{٣٩٨}.

قلنا: الرسول صلى الله عليه وسلم أرسله ربه في مهمة وهي: تبليغ مراد الله إلى عباده، وقد بلغ ابن أم مكتوم (ت ٥٢٣هـ = ٦٤٣م)^{٣٩٩} هذا المراد، فلماذا لا يبصر ليلبغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المراد لكل الناس؟ فكان للرسول صلى الله عليه وسلم على ابن أم مكتوم أن يعطيه

^{٣٩٦} عصمة الأنبياء ص ١٣٣.

^{٣٩٧} سورة عبس الآية ١: ٢.

^{٣٩٨} راجع تفسير الإمام الرازي ج ١٦ ص ٥٥: ٥٦.

^{٣٩٩} عمرو وقيل عبدالله بن قيس صحابي جليل (ت ٥٢٣هـ = ٦٤٣م) راجع الأعلام ج ٥ ص ٨٣، وأنظر المعارف لابن قتيبة ص ٢٩٠/ تحقيق دكتور ثروت عكاشة/ ط دار المعارف الطبعة الثانية.

الفرصة ليؤدي مهمته بموجب قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ" ^{٤٠٠} فمن يستحق العتاب الرسول أم ابن أم مكتوم؟ لكن الله عز وجل احتراماً لهذا الأعمى عاتب نبيه بليس عليك هداهم، وإنما عليك البلاغ فهو عتاب له لا عليه، وكأنه يقول: يا محمد رفقا بنفسك "مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى" ^{٤٠١} "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ" ^{٤٠٢} إنما انت مذكر، فالله سائلك عن التبليغ لا الهداية، يعني السؤال عن الكيف وليس الكم، ويؤكد ما ذكرناه: أن عبوسه عليه السلام لهذا الرجل ليس لذاته بمعنى لم يكن الرسول فارغاً وفعل ذلك احتقاراً له، أو تقليداً من شأنه بل كان مشغولاً بالأهم، وهو دعوة هؤلاء الصناديد ليس لذلك لذاتهم بل أملاً ليكونوا سبباً في تسهيل مهمته وهي تبليغ دين الله لمن يتحكم فيهم هؤلاء الصناديد، ولا شك أن قطعه لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم وإلقاء غرض نفسه قبل إتمام غرض النبي إيذاءً وذلك معصية عظيمة، وصار صارفاً للكفار عن قبول الإيمان وكالقاطع على الرسول في أعظم مهماته فذلك أولى أن يكون ذنباً ومعصية فثبت بهذا أن الذي فعله ابن أم مكتوم كان ذنباً ومعصية، وإن الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو عين الواجب.

ولا يتعلل أحد بأنه لفقد بصره لا يرى القوم، لكن لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول لهؤلاء الكفار ويسمع أصواتهم أيضاً، وبسماعه هذا علم شدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بشأنهم رغم ذلك قاطع الرسول لإلقاء غرض نفسه، وغفل عن أن عدم حب الخير للغير حرام، ومقاطع الرسول عن مهمته الأساسية أشد حرمة، فثبت بهذا أن الذي يستحق العتاب هو ابن أم مكتوم، وليس الرسول صلى الله عليه وسلم وبالتالي لا ذنب، فهو عتاب له صلى الله عليه وسلم لا عليه ^{٤٠٣}.

قوله تعالى: "وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ" ^{٤٠٤}.

^{٤٠٠} سورة التوبة الآية ٦٧.

^{٤٠١} سورة طه الآية ٢.

^{٤٠٢} سورة فاطر الآية ٨.

^{٤٠٣} راجع تفسير الإمام الرازي ج ١٦ ص ٥٥: ٥٦.

^{٤٠٤} سورة الأحزاب الآية ٣٧.

تمسك منكروا العصمة بهذه الآية أيضا وكان وجه استدلالهم: أنه عليه الصلاة والسلام رأى زينب بنت جحش (ت= ٢٠هـ = ٦٤١م) ^{٤٠٥} بعدما زوجها لزيد (ت ٨ هـ = ٦٢٩م) ^{٤٠٦} فهو يها، فلما حضر زيد لطلاقها أخفى في نفسه عزمه على نكاحها بعده لهوا لها فعاتبه ربه بقوله: "وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ" وعتابه دليل ذنبه، فأين عصمته، وأخلاق نبوته؟ ^{٤٠٧}.

قلنا: (الجواب) على تلك الفرية: من أربعة وجوه:

(أحدها): الذي يدل عليه أنه لم يصدر من الرسول في هذه الواقعة مذمة، ولا عاتبه الله على شيء منه؛ ولا ذكر أنه عصى وأخطأ، ولا ذكر استغفار النبي منه، ولا أنه اعترف على نفسه مخطئا، وأنه لو صدر عنه زلة لوجد من ذلك شيء كما في سائر الأنبياء عليهم السلام، متى صدرت عنهم زلة، أو ترك مندوب وجد منه ما ذكرناه.

(وثانيها): أنه ذكر في القصة أنه ليس على النبي من حرج فيما فرض الله له، وهذا تصريح بأنه لم يصدر منه ذنب البتة.

(وثالثها): أنه تعالى إنما زوجه إياها كيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعتهم إذا قضاوا منهن وطرا، ولم يقل: إني فعلت ذلك لأجل عشقك.

(ورابعها): قوله تعالى "رَوَّجْنَاكُهَا" ولو حصل في ذلك سوء لكان قدحا في الله تعالى، فثبت بهذه الوجوه أنه لم يصدر منه ذنب البتة في الواقعة.

فقال المنكرون: إذا صح ما قلتم فما تفسيركم لقوله تعالى: "وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ" نقول: ذكر المحققون فيه وجوها أربعة:

(الأول): أن الله تعالى لما أراد نسخ ما كان في الجاهلية من تحريم أزواج الأديعت أوحى الله أن زيدا يطلق زوجته فتزوج أنت بها، فلما حضر زيد ليطلقها أشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه لو طلقها للزمه التزوج بها فيصير بذلك سببا لسوء كلام المنافقين فيه فقال له:

^{٤٠٥} زينب بنت جحش أم المؤمنين (٣٣ق هـ = ٢٠هـ = ٥٩٠م) راجع الأعلام ج ٣ ص ٦٦.

^{٤٠٦} زيد بن حارثة بن شراحيل صحابي (٨ هـ = ٦٢٩م) راجع الأعلام ج ٣ ص ٥٧.

^{٤٠٧} راجع عصمة الأنبياء ص ١٢٨.

"أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ" وأخفى في نفسه عزمه على نكاحها بعد طلاقه إياها وهذا التأويل هو المطابق لقوله تعالى: "فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكُهَا" فثبت أن العلة في أمره بنكاحها ما ذكرناه من نسخ السنة المتقدمة، وهذا مناسب لمقام النبوة.

(الثاني) أن زيدا لما خاصم زوجته زينب، وهي ابنة عمه النبي عليه الصلاة والسلام وأشرف على طلاقها أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه طلقها زيد تزوجها من حيث إنها كانت ابنة عمته، وكان يجب ضمها إلى نفسه، كما يجب أحدنا ضم قراباته إليه حتى لا ينالهم ضرر، إلا أنه لم يظهر ذلك خوفا من أسنة المنافقين فالله تعالى عاتبه في التفات قلبه إلى الناس فقال: "وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ".

(الثالث) أن زيدا لما نكح زينب وجدها ذات جمال وعفة وقوة وعقل وحسن خدمة فبدا له أن ينزل عنها لينكحها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما رآها صالحة لصحبته خدمة له منه وقربة إلى الله تعالى بإيثار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفسه في حظ مباح، فجاء إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعرض عليه الأمر ولم يكن ذلك منكرا عنده عليه الصلاة والسلام غير أن زيدا تبناه النبي عليه الصلاة والسلام وكان الزوج بامرأته محرما في الجاهلية، فعلم أنه لو نكحها أطالوا ألسنتهم فيه وكانوا على قرب عهد من الإسلام يخرزون عن مثل هذه الأمور، فامتنع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نكاحها وقال له: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ" مع ما في قلبه من الرضا حذرا عما ذكرناه فنزلت هذه الآية "وَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ" يعني من إضمار الرضى "وَتَخَشَى النَّاسَ" يعني تستحي منهم أن يقولوا نكح زوجة ابنه "وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ" في إظهار أمر غير ما تضمنه.

(الرابع) أن زينب طمعت في أول أمرها أن يتزوج بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما خطبها الرسول لزيد شق ذلك عليها وعلى أخيها وأمها، حتى نزل قوله تعالى: "مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ" فعند ذلك انقادوا كرها، فلما بنى بها زيد لم تساعده ونشزت عنه لاستحكام طمعها في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستحقارها زيدا، فشكاها إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ" وأخفى في نفسه استحكام طمعها فيه، لأنه عليه الصلاة والسلام لو ذكر ذلك لزيد لتنغصت عليه تلك النعمة، ولقال المنافقون إنه إنما قال ذلك طمعا في تلك المرأة، فهذه وجوه سوى ما ذكره الطاعنون في أنبياء الله تعالى ورسله وكلها محتمل. فإن قلت: هب أن الأمر

كذلك، ولكن قوله تعالى: "وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ" يدل على أن ذلك الإخفاء ما كان جائزا له.

قلت: أكثر ما فيه أنه أخفى ذلك اتقاء لسوء كلام المنافقين، ولو أنه أظهره وتحمل سوء مقالاتهم لكان أكثر ثوبا فيه، ويرجع حاصله إلى ترك الأولى والأفضل فليس ذلك من الذنب في شيء، فأما الذين يذكرون من أنه عشقها فهو من باب الآحاد والأولى تنزيهه منصب الأنبياء عن مثله لا سيما والقرآن لا يدل عليه البتة، من أنه عليه الصلاة والسلام لما رآها عشقها هذا قطعاً غير صحيح، لأنه لو كان كذلك لكان أمره لزيد بإمسакها أمراً بالزنا وكان وصفه إياها بكونها زوجته كذبا وهذا الأمران لا يليقان بالمسلمين فضلا عن أفضل الأنبياء^{٤٠٨}.

ومنها قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ" ^{٤٠٩} و"وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ" ^{٤١٠} و"لَمْ تُحْرَمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ" ^{٤١١} و"لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ" ^{٤١٢} و"فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ" ^{٤١٣}.

تمسك منكروا العصمة بهذه الآيات، ووجه استدلالهم منها: أنه عليه الصلاة والسلام صدر منه الذنب، وإلا لما أمره ربه بالتقوى، ونهاه عن الإساءة للغير، وسأله عن سبب تحريمه، وعلق قبول إيمانه على شرط عدم الشرك أو الشك، فأين عصمته، قلنا: أن الأمر لا يقتضي سابقا تركه، ولا النهي سابقة فعله، ولا الشرط وقوع مضمونه^{٤١٤} كما يقول صاحب المواقف^{٤١٥}، وبالجملة: فمسألة جواز الصغيرة عمدا على الأنبياء في معرض الاجتهاد لا قاطع فيها لا نفيها ولا إثباتها.

^{٤٠٨} راجع عصمة الأنبياء ص ١٢٨ : ١٣٢.

^{٤٠٩} سورة الأحزاب الآية ١

^{٤١٠} سورة الأنعام الآية ٥٢.

^{٤١١} سورة التحريم الآية ١.

^{٤١٢} سورة الزور الآية ٦٥.

^{٤١٣} سورة يونس الآية ٩٤.

^{٤١٤} شرح المقاصد ج ٢ / ١٤٢ : ١٤٦.

^{٤١٥} راجع شرح المواقف ج ٣ / ٤٢٥.

فإن قيل: ما بال زلة الأنبياء حكيت بحيث تقرأ بأعلى الصوت على وجه الزمان مع أن الله غفار ستار وقد أمرنا بالستر على من ارتكب ذنبا؟، قلنا: ليدل على صدق الأنبياء، وكون ما يبلغون بأمر من الله من غير إخفاء لشيء، أو ليكون امتحانا للأمم كيف يفعلون بأنبيائهم بعد الاطلاع على زلاتهم، وليعلموا أن الأنبياء مع جلالة قدرهم وكثرة طاعتهم كيف التحوا إلى التضرع والاستغفار في أدنى زلة، وأن الصغيرة ليست مما يقدر في الولاية والإيمان البتة أو تقع مكفرة لا محالة بحيث لا عتاب عليها ولا عقاب، وأيضا ليكون ظاهر الأنبياء عليهم السلام وباطنهم سواء^{٤١٦}.

ونخلص من كل ما سبق أن الإمام الكيشي اتفق جزئيا وكليا مع المثبتين في أن ما نسب للأنبياء عليهم السلام كان زلة، وبدون قصد، ومن باب ترك الأولى، لذا لا يعد معصية ولا ينقض عصمتهم.

ولا يقدر في حق الكيشي عدم سرده ما نسب لكل الأنبياء، وذكره أنبياء بأسمائهم: كإبراهيم^{٤١٧} ويوسف^{٤١٨}، وأخوته^{٤١٩} مكتفيا بهم كنماذج تفصيلية؛ لأنه راع بقية الأنبياء عليهم السلام بطريق الإجمال^{٤٢٠}.

خاتمة

تتضمن خاتمة البحث ما يأتي:

أولا: أهم النتائج

عرضنا فيما سبق رأي الإمام الكيشي ومذاهب متكلمي الإسلام المثبتين والمنكرين لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فاستخلصنا عدة نتائج منها:

١- يعتبر كلام الإمام السالمي الكيشي في هذا الموضوع كلاما معتبرا حيث كان يستنبط الدليل العقلي من الدليل النقلی، وكان منهجه العام موافقا لمذهب أهل السنة والجماعة وخاصة الماتريدية، فجاء كلامه في هذا الموضوع مقنعا عندما استدلل على أن عصمة

^{٤١٦} شرح المقاصد ج ٢ / ١٤٢ : ١٤٦ .

^{٤١٧} راجع التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٣، وأنظر هذا البحث ص ٢٤ .

^{٤١٨} راجع التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٣، وأنظر هذا البحث ص ٢٥ .

^{٤١٩} راجع التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٣، وأنظر هذا البحث ص ٢٦ .

^{٤٢٠} راجع التمهيد في بيان التوحيد ص ٩٤، وأنظر هذا البحث ص ٢٧ .

الأنبياء عليهم السلام: كانت قبل مولدهم وليس موافقا لأهل السنة وخاصة الأشاعرة أن العصمة في وقت النبوة فقط، كذا عند قوله: إن عصمتهم مستمرة حتى بعد وفاتهم وليس حال حياتهم فقط، وكذا رأى أن كل ما صدر عنهم كانت صغائر غير مقصودة قبل وبعد النبوة ولعل هذا يفسر رده الشديد على كل من نسب إليهم الذنوب قبل مولدهم وقبل بعثتهم.

٢- العصمة لها: معنى، وسبب، وهدف.

- فمعناها: المنع والحفظ: أي منع صاحبها وحفظه ظاهرا وباطنا من الآفات والذنوب عقدا بالقلب، وقولا باللسان، وعملا بالجوارح والأبدان.
- وسببها يتنوع إلى:

أ- إما ذاتي (منحة): وهو الله تعالى فهو الذي يمنع ويحفظ في الحقيقة، قياسا على قوله تعالى: "وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى" ^{٢١} يعني ما منعت وما حفظت نفسك من الزلل ولكن الله منعك وحفظك، ومن هنا نفهم معنى هذه الآيات "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" ^{٢٢} وقوله تعالى: "وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ" ^{٢٣} إذا فالعاصم في الحقيقة هو الله تعالى. وإما عرضي (مكتسبة): من ذات النبي واجتهاده في إطار المأمور به، والمشروع له، وعليه فهو عرضة لأن يصدر منه خلاف ما أمر به ^{٢٤} وشرع له لكن دون تعمد وعزم وقصد؛ وعندما حدث ذلك لم يعاتبهم العاصم بالحقيقة بل مدحهم وذلك لحسن نيتهم وصفاء سريرتهم بخلوها من العزم، والعاصم بالحقيقة لم يتركهم بل عدل لهم ذلك الاجتهاد وأتابهم عليه، ولو تركهم مع مخالفتهم عمدا لكان تناقضا، والعليم بخلجات الصدور لو علم خلاف ذلك ما تركهم بل كان ينفذ فيهم وعيده بالتبديل

^{٢١} سورة الأنفال الآية ١٧.

^{٢٢} سورة المائدة الآية ٦٧.

^{٢٣} سورة يوسف الآية ٣٢.

^{٢٤} فهذه طبيعة البشر التي تربط الأسباب بمسبباتها مجتهدين في ذلك خاصة وأنه مشروع.

والتغيير فقال: "إِنَّ يَكْفُرُ بِهَا هَوْلًا فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ" ^{٤٢٥} وهذا كله لم يحدث بل حدث نقيضه وهو تأييده تعالى لهم بخوارق العادات، وبذا ثبت عصمتهم.

• وهدفها يتنوع إلى:

أ- العاصم: (الله تعالى) وهدفه حفظ المعصوم؛ ليصبح كل الناس معصومين عن المعاصي، والذنوب مثله، لذلك جعلهم صلوات الله عليهم مثالا وقدوة حسنة لغيرهم، حيث قال: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" ^{٤٢٦} بل أمرا الكل بإتباعهم في كل شئوهم فقال تعالى: "وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" ^{٤٢٧} ولو كانوا غير ذلك لا يكونوا قدوة ولا يؤمر بإتباعهم، وإلا لكانا مأمورين منهيين في ذات الشخص ونفس الحكم في وقت واحد وهذا هو التناقض وهذا ما يتعارض مع قوله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" ^{٤٢٨} وهذا مما ياباه أصحاب النقل الصحيح والعقل الصريح، ومن فطن لذلك أصبح من أصحاب العلم الممتع والدين المقنع، فعصمتهم صلوات الله عليهم ليست لدواتهم بل ليكونوا قدوة لغيرهم، وهذا أسمى معاني الحفظ والاصطفاء سواء أكانت للأشخاص ^{٤٢٩} أو الأزمنة ^{٤٣٠} أو الأمكنة ^{٤٣١}.

^{٤٢٥} سورة الأنعام الآية: ٨٩.

^{٤٢٦} سورة الأحزاب الآية ٢١.

^{٤٢٧} سورة النور الآية ٥٦.

^{٤٢٨} سورة النساء الآية ٨٢.

^{٤٢٩} اصطفى الله الإنسان من بين سائر مخلوقاته، ثم اصطفى الأنبياء من الناس، ثم اصطفى من الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون النموذج الأخير للإنسان الكامل، كل ذلك ليكون كل الأنبياء وبخاصة خاتمهم صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة ومثال للخير لكل الناس: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ" سورة النساء الآية ١٦٥، وأيضا ليصبح كل الناس تاركين لكل المعاصي إلا عن طريق السهو والخطأ والنسيان متأسيين ومقتدين بالأنبياء في ذلك.

^{٤٣٠} إذا كان هذا هدف الحق من اصطفاء البشر فكذلك هدفه من اصطفاء الأزمنة، فمثلا اصطفاه لرمضان باعتباره زمنا ليس لذات الشهر بل ليكون كل السنة رمضان ففي رمضان امتنعت عن الحلال لله، أفلا تمتنع عن الحرام في غير رمضان لله أيضا.

ب- المعصوم: (الأنبياء عليهم السلام) هدفه هو عدم التردّي والسقوط في الذنب: ظاهراً، وباطناً، سواء كفراً وشركاً، معصية: كبيرة أو صغيرة: منفرة أم غير منفرة، على سبيل التعمد والعزم والقصد، بدليل قوله تعالى: "فَنَسِيَ وَلمَّ يَجِدْ لَهُ عَزْماً"^{٤٢٢} يعني ما صدر عن طريق النسيان والخطأ من الأنبياء لا شيء فيه، ويعضد ذلك دليل المخالفة الذي استخدمه أهل السنة كثيراً مثل قوله تعالى: "كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ"^{٤٢٣} فقالوا: إذا كان قوم قد حجّبوا بالغضب فسوف يراه قوم بالرضا، وبالقياس: إذا كان قوم قد صدر منهم الذنب عن طريق النسيان والخطأ لا شيء عليهم ولا عيب فيهم.

٣- يرى الإمام السالمي الكيشي متفقاً مع أهل السنة أن هناك فريقين في تلك المسألة: الأول: المثبتون. والحق معهم؛ فالأمور تقاس دائماً بنتائجها، فعصمتهم كانت سبباً في نبوتهم، وتأييدهم بالمعجزات المهمة سيقومون بها، فعصمتهم ليست لذواتهم مثل الملائكة بل لغيرهم لأسباب منها:

أ- ليعلم الناس أن الكمال لله تعالى وحده، فهؤلاء الصفوة وإن عصموا إلا أنه من الجائز أن يقع منهم الخطأ، لأن عصمتهم بالغير وليس بالذات فالعاصم في الحقيقة هو الله، وأيضا لكي لا يفتن بهم الناس.

^{٤٢١} كذلك هدفه من اصطفاء الأمكنة، فاليبيت الحرام مثلا ماذا نفعل هناك نجح، والحج: كله شعائر حجرية: عرفة حجر جبل، رمي الحصى حجر، الطواف حجر، السعي بين الصفا والمروة حجر، أينها رنا عن حجر صنم، ثم يأمرنا بتقدّيس أحر أليس هذا تناقض؟ لكن عند معرفة الهدف والمراد نجد أنه ليس هناك تناقض؛ لأن الحجر المنهين عنه كان مراداً لذاته (غاية)، أما هنا فمراد لغيره (وسيلة)، فمراد الله تعالى من ذلك أن نحافظ عن البيت الحرام ليس هو فقط بل كل ديار المسلمين؛ لذلك رمى به الحق من أراد أن يعتدي على البيت الحرام، فمراد الحق من اصطفاء المكان أن تكون كل ديار المسلمين مثل البيت الحرام محفوفة، لذا جعل الله تعالى الحجر شعيرة في الحج لرمي ورحم الشيطان (وكل أعداء الحق في كل زمان ومكان)، فالحجر رمز للقوة المأمور باستخدامها ضد أعداء هذا الدين، فالواجب علينا أن نرمي كل من يقف في طريق الحق والدين ويعتدي على ديارنا ومقدساتنا بالقوة، ألم يقل الحق تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" سورة الأنفال الآية: ٦٠.

^{٤٢٢} سورة طه الآية ١١٥.

^{٤٢٣} سورة المطففين الآية: ١٥.

ب- ليعلم الناس أن الأنبياء عوتبوا فيما صدر منهم سهوا، فما بالك بمن يفعل الكبائر عمدا؟
ت- ليعلم الناس أن ظاهر الأنبياء عليهم السلام كباطنهم لأن كل شئوهم وحي يعمل به.
الثاني: المانعون. هم أصحاب شبهات مغرصة لا أساس لها من نقل أو عقل بل هي تنم عن جهل لمعاني القرآن الكريم ومقاصده ولو افترضنا جدلا صحة رأيهم فلازم مذهبهم يلزمهم بالرد على مثل هذه التساؤلات:

أ- ما الحكمة من اصطفاؤهم مع صدور الذنوب عنهم؟ الله يكيل بمكيالين أم ماذا؟ وحاشا وكلا أن يكون.

ب- كيف يمدحهم الله، والعاصي لا يمدح بل يذم؟ أيكون الله تعالى متناقضا في كلامه حاشا وكلا أن يكون؟

ت- كيف يكونون قدوة وقد صدر عنهم ما يناقضها؟ فعلى أيهما يتبعهم الناس، أم يتركونهم مطلقا؟

ث- القرآن الكريم أثبت عصمتهم بمدحه إياهم، وبه قلمت خلافة، أيكون القرآن فيه الشيء ونقيضه أم ماذا؟ وهل لكم كتاب غيره؟ حاشا وكلا أن يكون القرآن كلام العليم الحكيم فيه الشيء ونقيضه.

فيا أيها المانعون هل تستطيعون الإجابة عما سبق من تساؤلات؟ بالطبع لا، كيف وأنتم تكذبون الله في أخباره وإخباره؟ وتجعلون القرآن يعارض بعضه بعضا، وتجعلون متبعيهم في شك منهم، وتجزون جمع النقيضين، وإذا ترتب على إجاباتكم المحال: وجب تخليكم عن مذهبكم، وإلا لزم مذهبكم: الكفر الممنوع شرعا، والتناقض الممنوع عقلا، وفي كلا الحالتين تثبت عصمتهم عليهم السلام من كافة الذنوب، وأن ما صدر منهم ويتوهم منه معصية، فمحمول على عدم تعمد بل صدوره سهوا، وبطريق الخطأ والنسيان، وترك للأولى، ولا يحتج بتضرعهم من هذه الزلات في نقض عصمتهم؛ فذلك أدبا منهم لجأوا إلى التضرع والاستغفار عساه تعالى أن يغفر لهم ما وقع سهوا، فأحبرهم مولاهم تعالى بأنه راض عنهم، وعتابه تعالى لهم لا عليهم، فهو من باب: التنبيه لا التوبيخ والتكذيب كما ظن هؤلاء المانعون.

٤- يرى الإمام الكيشي كما يرى أهل السنة أن الأنبياء لا بد من عصمتهم؛ لأن أقوالهم، وأفعالهم، وإقراراتهم تعامل معاملة الوحي الذي لا يجوز مخالفته.

٥- يرى الإمام الكيشي أن هذا الموضوع ينحصر في سؤالين: متى تكون العصمة؟ ومن أي شيء تكون؟ فتبين لنا أنها تكون قبل البعثة عند أهل السنة والجماعة عن اعتقاد الكفر والضلال، وكذا عصمتهم من الذنوب والمعاصي التي تكون عن طريق التعمد، أما عن طريق السهو فحائز لكن لا يصرون عليها بل يبهون فينتهون، وكذا عصمتهم فيما يتعلق بدعوى الرسالة كتعمد الكذب فيما يبلغونه عن الله تعالى؛ وإلا لزم نقض دلالة المعجزة على صدق الرسول، وكذا عصمتهم من الأمراض والعيوب المنفرة؛ كي يستطيعوا تأدية مهمتهم على الوجه الأكمل.

٦- يرى الإمام الكيشي وأهل السنة أن فهم النصوص فهما صحيحا يظهر بطلان مزاعم منكري عصمة الأنبياء عليهم السلام؛ لأن كلامهم مأخوذ من ظواهر النصوص، ولا اعتماد لهم على منقول ولا معقول ولا لغة.

٧- حاولنا بقدر الإمكان استدراك ما لم يشر إليه الإمام السالمي الكيشي في هذا الموضوع ليخرج البحث بصورة متكاملة، وإن كان موضوعنا الأساسي هو تصوير رأيه في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

ثانيا: أهم التوصيات.

١. أوصي بدراسة هذا الموضوع دراسة مقارنة بين الفكر الإسلامي وأهل الكتاب (اليهود . النصرى).
٢. أوصي بدراسة هذا الموضوع من منظور الفكر الشيعي مقارنة بفكر أهل السنة والجماعة؛ لإبراز الفرق بين عصمة: الأنبياء، والملائكة، والأئمة.
٣. أوصي بالبحث والتنقيب عن فكر المدرسة الماتريدية؛ لأنه يؤدي للعلم الممتع والدين المقنع.
٤. أوصي بالبحث والتنقيب عن فكر الإمام السالمي الكيشي؛ فهو صاحب فكر متميز، وأسلوب مقنع، والحديث عنه وعن حياته ومؤلفاته قليل جدا، لذا لا بد من اهتمام الباحثين به ومؤلفاته.

ثالثا: فهرس المصادر والمراجع.

- ١- الأعلام/ لخير الدين للزركلي/ ط دار العلم بيروت لبنان الطبعة الثالثة عشر ١٩٩٨م.

- ٢- الشفا/ للقاضي عياض/ تقلسم د محمد عمارة ط مجمع البحوث الإسلامية.
- ٣- الإرشاد إلى قواطع الأدلة/ لإمام الحرمين الجويني ط السعادة بمصر ١٣٦هـ = ١٩٥٠م.
- ٤- أصول الدين/ للبزدي/ ت هانز بيتر لنس/ ط الحلبي ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.
- ٥- أصول الدين/ للبغدادى/ ت أحمد شمس الدين/ ط دار الكتب العلمية الأولى ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
- ٦- الاعتماد في الاعتقاد/ لأبي البركات النسفي/ ت د عبدالله إسماعيل ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- ٧- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب/ ت الحوت/ الناشر: دار الكتب العلمية.
- ٨- الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي ط الأولى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- ٩- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة/ للزركشي/ ت مصطفى عبد القادر/ ط دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م بيروت.
- ١٠- التمهيد في بيان التوحيد تأليف المهدي أبو شكور محمد بن عبدالله السعيد بن شعيب السالمي الكيشي تحقيق ساعة مراد بريموف/ ط طشقند ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.
- ١١- التفسير الكبير/ للرازي/ ط دار الفكر ط الأولى لسنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- ١٢- التعريفات للجرجاني ط مكتبة القرآن ١٤٣٢هـ = ٢٠٠٣. ت محمد علي أبو العباس.
- ١٣- المعجم الوجيز/ ط وزارة التربية والتعليم ط ١٤٢٩هـ.
- ١٤- تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام. للسندجي ط ١٤٢٦ = ٢٠٠٤: ٢٠٠٥م ط الأزهر.
- ١٥- تفسير الكشاف للزخشري ط دار احياء التراث العربي الطبعة الاولى ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- ١٦- شرح المقاصد للفتازاني ت ٧٩١هـ تحقيق دار المعارف النعمانية لسنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- ١٧- عصمة الأنبياء للإمام الرازي (٥٤٣: ٦٠٦هـ) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

- ١٨- لسان العرب جمال الدين (ابن منظور) ط دار احياء التراث العربي الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.
- ١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل ت شعيب الأرنؤوط ط مؤسسة الرسالة ط: الأولى ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.
- ٢٠- معالم أصول للإمام الرازي الدين/ تحقيق أحمد حجازي السقا ط مكتبة الإيمان الاولى لعام ١٤٢٠هـ.
- ٢١- نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض تقدم د محمد عمارة ط مجمع البحوث الإسلامية.
- ٢٢- الوصية أبو حنيفة ت/ الشيخ الكوثري ط المكتبة الازهرية عام ١٤٢١هـ = ٢٠٢١ م.
- ٢٣- العالم والمتعلم أبو حنيفة ت/ الشيخ الكوثري ط المكتبة الازهرية عام ١٤٢١هـ = ٢٠٢١ م.
- ٢٤- الفقه الأكبر أبو حنيفة ت/ الشيخ الكوثري ط المكتبة الازهرية عام ١٤٢١هـ = ٢٠٢١ م
- ٢٥- الفقه الأبسط أبو حنيفة ط تحقيق الشيخ الكوثري ط المكتبة الازهرية عام ١٤٢١هـ = ٢٠٢١ م
- ٢٦- الرسالة أبو حنيفة ت/ الشيخ الكوثري ط المكتبة الازهرية عام ١٤٢١هـ = ٢٠٢١ م
- ٢٧- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ط دار احياء التراث العربي.
- ٢٨- تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان ط جامعة الدول العربية للثقافة ط الخامسة دار المعارف بالقاهرة
- ٢٩- تاج التراجم في من صنف من الحنفية لابن قطلوبغا ت/ ابراهيم صالح ط دار المأمون للتراث بيروت الاولى لعام ١٤٢٢هـ = ١٩٩٢.
- ٣٠- نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار المؤلف: السيّد علي الحسيني الميلاني الموضوع العقائد والكلام الناشر: مركز الفرقان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.
- ٣١- شَمُّ العَوَارِضِ فِي ذَمِّ الرُّؤَافِضِ نور الدين الملا الهروي القاري ت د. مجيد الخليفة الناشر: مركز الفرقان الأولى، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م
- ٣٢- معجم المؤلفين لرضا كحالة ط إحياء التراث العربي

- ٣٣- تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربي.
- ٣٤- الكامل في التاريخ لابن الأثير ط دار صادر بيروت ١٩٧٩.
- ٣٥- التمهيد لقواعد التوحيد للنسفي طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م
- ٣٦- الجواهر المضوية في طبقات الحنفية لأبي الوفا القرشي تحقيق عبد الفتاح الحلو (مصر ١٩٩٣م). وأخرى ط مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد ط ١٣٣٢هـ.
- ٣٧- الدولة العباسية من الميلاد للسقوط لمحمد قباني ط الأولى ٢٠٠٦ دار وحي القلم دمشق سوريا.
- ٣٨- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري تحقيق حمودة غرابية الناشر مكتبة الخنجي بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١١م الشركة الدولية للطباعة.
- ٣٩- التمهيد لقواعد التوحيد لللامشي/ تحقيق عبدالمجيد تركي/ الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي ١٩٩٥/ ونسخة أخرى/ تحقيق أحمد فريد المزيدي/ طبعة دار الكتب العلمية لصاحبها محمد علي بيضون عام ٢٠٠٧.
- ٤٠- الإشارة في علم الكلام للرازي تحقيق هاني حامد ط المكتبة الأزهرية للتراث عام ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- ٤١- أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه وفقه لأبي زهرة دار الفكر العربي الطبعة الثانية.
- ٤٢- إتحاف المريد شرح الشيخ عبد السلام على جوهرة التوحيد طبعة الحلبي لعام ١٣٦٨هـ = ١٩٤٨م.
- ٤٣- القاموس المحيط للفيروز آبادي/ تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقوسي الطبعة الثامنة لعام ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م بيروت لبنان.
- ٤٤- الملل والنحل للإمام الشهرستاني تحقيق أمير على مهنا، علي حسين فاعور/ ط دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة السادسة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- ٤٥- الجواهر المضوية في طبقات الحنفية، لأبي الوفا القرشي تحقيق عبد الفتاح الحلو (مصر ١٩٩٣م) وأخرى طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ.

- ٤٦- العقائد النسفية للنسفي تقدم طه عبد الرؤف ط المكتبة الأزهرية للتراث الأولى ١٤٣٢هـ = ٢٠١٢م.
- ٤٧- أبو الحسن الأشعري د حمودة غرابة مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة لعام ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.
- ٤٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير/ ت: علي محمد معوض- عادل أحمد الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
- ٤٩- الفرق بين الفرق للبغدادي تحقيق دار إحياء التراث العربي دار الآفاق ط ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
- ٥٠- المرشد السليم في المنطق الحديث والقلم د عوض الله حجاجي ط السادسة طبعة دار الطباعة المحمدية.
- ٥١- المسند الصحيح للإمام مسلم محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٥٢- الإبهام في شرح المنهاج للسبكي طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
- ٥٣- الفرق بين الفرق للبغدادي ت دار إحياء التراث العربي دار الآفاق الجديدة ط ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
- ٥٤- التعريفات للجرجاني ط عيسى الحلبي ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م.
- ٥٥- التبصر في الدين للإسفراني ت كمال الحوت ط عالم الكتاب بيروت ط الأولى لعام ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م
- ٥٦- الصحيح للبخاري دار طوق النجاة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر.
- ٥٧- السنن للدارقطني ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٤٢٤هـ.
- ٥٨- المجالس الموعظية في شرح أحاديث خير البرية لعمر السقيري ط دار الكتب العلمية.
- ٥٩- أصول للدين للبيزوي تحقيق د هانز تعليق د أحمد السقا ط المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- ٦٠- الصحيح لمسلم دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

- ٦١- المسند لابي داود الطيالسي دار هجر مصر الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ٦٢- المعجم الأوسط للطبراني تحقيق طارق بن عوض الله الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- ٦٣- المعجم الوجيز/ طبعة وزارة التربية والتعليم.
- ٦٤- الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق (دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٦م).
- ٦٥- الطبقات السنية في تراجم الحنفية تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الحنفي، تحقيق عبد الفتاح الحلو (دار هجر، مصر، ودار الرفاعي، الرياض ١٩٨٩م).
- ٦٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي دار التراث العربي القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- ٦٧- البداية والنهاية لابن كثير ط دار الفكر العربي القاهرة.
- ٦٨- أصول الدين للبغدادي تحقيق شمس الدين منشورات بيضون دار الكتب العلمية ١٤٣٢هـ = ٢٠٠٢م.
- ٦٩- أرحوزة جوهرة التوحيد إبراهيم البيجوري ط إدارة المعاهد الأزهرية ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.
- ٧٠- بحر الكلام للنسفي تعليق د ولي الدين الفرور ط مكتبة الفرور الطبعة الثانية ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
- ٧١- تهذيب شرح السنوسية أم البراهين لسعيد فودة طبعة دار الرازي الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
- ٧٢- تحرير القواعد المنطقية للرازي مع شرح الرسالة الشمسية للقرظيني ص/ ١٠٨ : ١١٣/ بتعليق د/ محمد ربيع جوهري ط مكتبة الإيمان بالأزهر الطبعة الأولى.
- ٧٣- تبصرة الأدلة للنسفي تحقيق د محمد الأنور الطبعة الأولى ٢٠١١م ط المكتبة الأزهرية.
- ٧٤- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى للأشعري لابن عساكر ط دار الفكر بدمشق الأولى ١٣٤٧هـ القدس.
- ٧٥- تأويلات أهل السنة للماتريدي تحقيق الدكتور مجدي باسلوم منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٥ = ١٤٢٦هـ.
- ٧٦- تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة/ ط دار الفكر.

- ٧٧- تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي د/ حسن إبراهيم مكتبة النهضة الطبعة ٧/ ١٩٦٧.
- ٧٨- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ط جماعة الدول العربية للثقافة والعلوم ط ٥ دار المعارف القاهرة.
- ٧٩- تاج التراجم لابن قطلوبغا ت إبراهيم صالح ط دار مأمون للتراث بيروت ط ١ عام ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
- ٨٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأبي نعيم المتوفي سنة ٤٣٠هـ/ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ٨١- سير أعلام النبلاء للذهبي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- ٨٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ ط مكتبة دار التراث ٢٢ ش الجمهورية. القاهرة عام ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
- ٨٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ط مكتبة القدس ١٣٥٠هـ.
- ٨٤- شرح المقاصد للفتازاني ط دار الطباعة العامرة ١٩٧٧م.
- ٨٥- شرح المواقف للجرجاني ط دار الكتب بيروت لبنان ط ١/ ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
- ٨٦- شرح العقائد النسفية للفتازاني ت طه سعد/ طبعة المكتبة الأزهرية الطبعة الأولى ٢٠١٢ = ١٤٣٢هـ.
- ٨٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي المتوفي عام ٤١٨هـ تحقيق د/ سعد الغامدي.
- ٨٨- كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي المتوفي تحقيق د بكر طوبال أوغلي، د محمد آروشي/ ط دار صادر بيروت الثانية ٢٠١٠م وطبعة أخرى بتحقيق: د. فتح الله خليف ط. دار الجامعات المصرية بالإسكندرية.
- ٨٩- مختار الصحاح للرازي تحقيق: يوسف الشيخ ط المكتبة العصرية بيروت ط ٥/ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ٩٠- معجم البلدان، لياقوت الحموي ط صادر بيروت، وطبعة أخرى مطبعة السعادة بالقاهرة.

٩١- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي، لجنة إحياء المعارف النعمانية حيدر آبد
الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٩٢- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري تحقيق محي الدين عبد الحميد طبعة
المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا بيروت لسنة ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

